مجلة شهرية

نـــــور يسوع المسيح المســـيح
Φ Ω Σ الغالب XPIΣTOY

Issue No: 137 عدد:
January 2019 شهر كانون ثاني

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

ميلاد ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد

الظهور الإلهي

Θεοφάνεια ή Επιφάνεια

تتقدم جمعية نور المسيح

بأحر التهاني وأجمل التبريكات

الى غبطة البطريرك

كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بطريرك المدينة المقدسة اورشليم

وسائر اعمال فلسطين والأردن

بمناسبة حلول عيد الميلاد المجيد وراس السنة الجديدة

طالبين بإيمان حارّ من الثالوث القدوس

ان يسربلكم بوافر النعيم الإلهي

لكي تستمر الكنيسة الرومية

بالأرتقاء والسمّو في طريق الخلاص

لسنين عديدة ومديدة يا سيد

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد ختانة ربنا يسوع المسيح بالجسد

وتذكار أبينا القديس الجليل باسيليوس الكبير رئيس أساقفة كبادوكية

«فِي وَقْتٍ مَقْبُول سَمِعْتُكَ، وَفِي يَوْمِ خَلاَصٍ أَعَنْتُكَ». (٢ كورنثوس ٦ : ٢)

هوذا الآن وقتٌ مناسبٌ وهوذا الآن يوم خلاصٍ. هذا ما يَكْرُزُ به رسول الأمم القديس بولس الإلهيّ.

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح،

أيها المسيحيون الزوار الأتقياء

إنّ كنيستنا المقدسة والتي هي جسد المسيح الممتدة في هذا العالم إلى أبد الدهور. لا تُرَحِّب فقط بل تُبَشِّر بدخول الزمن والعام الجديد عَبْرَ أقوال الرب في الإنجيل المقدس « رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ، وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ »(لوقا ٤ : ١٨-١٩). (اشعياء ٦١ : ١-٢).

بكلامٍ آخر أيها الإخوة الأحبة، إن معنى الزمن لا يُفهم بخرافات مُصَنَّعة (٢ بط ١ :١٦) «بل حَسَبَ إِعْلاَنِ السِّرِّ الَّذِي كَانَ مَكْتُومًا فِي الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ» (رومية ١٦ :٢٥). أي **كلمة الله المتجسد مخلصنا يسوع المسيح الابن الأزلي المُتَّحد بالروح القدس الصانع معهُ كلَّ ما يرى وما لا يرى.**

إنّ كنيستنا المقدسة لا تعرِضُ مفهوم الزمن بحسب تنظيمٍ اجتماعيٍ دنيوي بل كجسد المسيح والذي نحن بحسب القديس بولس الرسول:« أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ.» (أفسس ٥: ٣٠)

وذلك «لأنّ المسيح هو الْكَائِنِ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي» (رؤية ١ :٤) وهذا يعني بأنَّ الكنيسة تُدخِل وَتُوْلِجُ في هذا العالم الأبدية والدهرية في المسيح مُمتدةً معهُ للدهرية.

فبداخل الكنيسة، حيث الزمن يصبحُ وقتًا لِتَذَكُّرِ الماضي يصيرُ (الماضي) ذكرى حيةً في المسيح. ويصير رجاءُ المستقبل زمنَ رجاءٍ في المسيح، لهذا فإن القديس بولس الرسول يقول مستشهدًا بأقوال **النبي اشعياء** (٤٩: ٨) « فِي وَقْتٍ مَقْبُول سَمِعْتُكَ، وَفِي يَوْمِ خَلاَصٍ أَعَنْتُكَ. هُوَذَا الآنَ وَقْتٌ مَقْبُولٌ. هُوَذَا الآنَ يَوْمُ خَلاَصٍ.» (٢ كورنثوس ٦ :٢).

وتُعَيِّد أيضًا كنيستنا المقدسة **لأبي الكنيسة العظيم القديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة كبادوكية** والذي يُصادف تذكاره السنوي المقدس ببداية العام الجديد وأيضًا للعيد السيِّدي، ألا وهو **خِتَانَةُ ربنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد**، فهي تدعونا اليوم في هذه الذكرى الموقرة من أجل إكرام القديس باسيليوس الكبير لتقطيع كعكة الفاسيلوبيتا لكي نتذكر أنه بسبب خطايانا قد نُفينا إلى الأرض وبمحبة خالقنا اللامحدودة لجنس البشر قد أُصْعِدْنَا إلى السماوات.

في المسيح يسوع نتذوق نحن مُسبقًا دعوته لنا إلى السماوات وذلك خلال زمان القداس الإلهي. والذي من خلاله ينتقل ذهن الإنسان من الآنيات إلى المستقبليات، كما يقول القديس باسيليوس الكبير.

وعدا عن ذلك فإن القديس بطرس يحثُ المؤمنين على التوبة مشيرًا إلى نسبية الزمن إذ يقول: « وَلكِنْ لاَ يَخْفَ عَلَيْكُمْ هذَا الشَّيْءُ الْوَاحِدُ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ: أَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ » (٢ بط ٣: ٨).

إذن علينا أن نضع أمام أعيننا أن يكون زمان حياتنا في المسيح متضرعين إلى القديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة قيصرية كبادوكية لكي يتشفع فينا إلى المسيح الإله من أجل خلاص نفوسنا، ومن أجل سلام كل العالم ومنطقتنا أيضًا، ومع المرتل نهتف قائلين: يا كلمة الآب الذي قبل الدهور. يا مَن خلق كلَّ الأشياءِ بحكمةٍ وأقامها بكلمتِهِ القديرة. بارك اكليل السنة بجُودِكَ

واحفظ إخوتنا أخوية القبر المقدس الموقرين، ورعيتنا المسيحية ومدينتنا وديارنا المقدسة بشفاعات والدة الإله مانحًا العالم الرحمة العظمى. آمين

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

حياة النُّسك في حياة الرهبنة عند القديس باسيليوس الكبير

❁ **وَسُئِل القديس باسيليوس عن «شروط الرئاسة وكيفية رعاية الأخوة».**

فأجاب القديس وقال:

✞ – الرئيس قُدوة صالحة، فينبغي أن يكون كاملًا، حتى لا يُعثر الأخوة.

✞ – وأن يكون أولًا متواضعًا ، متشبِّهًا بالمسيح، الذي خدم تلاميذه.

✞ – ومن صفاته الأخرى طول الروح (صبور ولديه فضيلة الاحتمال) كثير الفهم (حكيمًا) ويتمتّع بحياة النُّسك والتقشُّف.

✞ – يختار للخدمة من يصلح لها (وخاصة التي خارج الدير كالرسامة الأسقفية)، حتى لا يُعثِر أحدًا (١تي٤:١٢).

✞ – ألَّا يكون مُحبًا للتجارة والربح المادي وما يتأتَّى منها من مكاسب وقنية.

✞ – اختيار نائب له ليساعده في تدبير أمور الأخوة في حالة غيابه أو مرضه، ليكون النائب هو المدبّر والمعين له في كلّ هذه الأمور.

✞ – أن يهتم بمتابعة وصايا الله، وعدم إغفال أية وصية منها.

✞ – ان يكون زيّه وعمله وتصرفاته، أداة إقناع للأخوة أكثر من الكلام الذي يكلّمهم فيه.

✞ – الرئيس قُدوة صالحة، فينبغي أن يكون كاملًا، حتى لا يُعثر الأخوة. وأن يتشبَّه بالمسيح والرسُل (١كو١١:١) و (مت ١١:٢٩).

✞ – ان يكون متضعًا، حنونًا، محتملًا، طويل البال على الجاهل والعاقل سواءً.

✞ – لا يسكت عن الذين يخطئون بمعرفة، ولكن لا ينتهر بقسوة.

✞ – أن يكون متيقظًا، صاحيًا وواعيًا في كل شيء، وأن يكون عمله هو لربح نفوس الأخوة.

✞ – ألّا يكون قد أَخَذَ الرئاسة لنفسه، لكن يُختبَر من كبار رجال المجمع، بناءً على طلب الرسول بولس بقوله: «فليُختبَر أولًا».

✞ – والذين يُرسلهم للخدمات خارج الدير، فليختبرهم بعناية وحكمة، بعد أن يتأكّد من مقدرتهم على الخوض بنجاح في غمار هذه المهمات الصعبة، لكي لا يُعْثِرُوا أحدًا ممن يلتقون به.

✞ – النظر نحو الأمور الروحيّة وليس الجسدية عند إرسال الرهبان خارج الدير، فَلْيَخْتَرِ الحكماءَ الروحيين منهم وليس الجسدانيين.

✞ – ومتى عادوا من الخارج إلى الدير (أي الرهبان)، فيجب أن يسألهم عمّا عملوه وقالوه، وما أتمّوه بالقول والفعل، ونوع الناس الذين التقوا بهم، وهل خرجوا عن الحدود التي أمرهم بمراعاتها، أم ضعفوا في شيء، لكي يقوِّم اعوجاجهم.

✞ – ولا يمضي الرئيس إلى خارج الدير إلَّا لحاجاتٍ ضروريّة فقط.

✞ – أن يكون نائبه يتمتّع بنفس صفات الرئيس، ليكون قدوة للذين في الدير أو من خارجه.

✞ – أن يكون الرئيس ذا قيادة فذّة ليضبط الأمور كلها، وإن سَها بشيء، فلا يردّه أحد إلَّا بالخفاء، لكي يحترم الصغار الكبار فيما بينهم.

عيد الظهور الإلهي
للقدّيس يوحنا الذهبي الفم
الإنجيل: متى ٣: ١٣ – ١٧

«حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الأُرْدُنِّ إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ. وَلكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلاً: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!» فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ:«اسْمَحِ الآنَ، لأَنَّهُ هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرّ». حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ. فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً:«هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (متى ٣: ١٣ – ١٧).

«حينئذ أقبل يسوع من الجليل إلى الأردن، إلى يوحنا ليعتمد منه» (متى ٣:١٣).

جاء السيِّد مع العبيد، القاضي مع المحكوم عليهم، لكي يعتمد. مع ذلك، أقول لك لا تضطرب: فيما بين هؤلاء الوضعاء يسطع سُمُوُّهُ. إِقْتَبَلَ أن يُحبل به في أحشاء العذراء لزمنٍ طويلٍ، وأن يولد منها بجسد طبيعتنا البشرية، وأن يُضْرَبَ، وأن يُصْلَبَ، وأن يُكابد الآلام كلّها. إذًا، لماذا تتعجب إذْ تراه يقتبل المعمودية ويأتي مع الآخرين مُتَّجِهًا نحو عبده؟ المذهل في الأمر هو الآتي: يريد أن يصير إنسانًا بينما هو الله. كل شيء آخر يتبع بصورة منطقية. لذلك بالضبط كان يوحنا يقول مُسبقًا: «الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحِقٍّ أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ» (يو١:٢٧)، وغيرها، مثلًا: إنه القاضي وسوف يجازي كل واحد حسب استحقاقه، وسوف يمنح الروح القدس للجميع بغزارة. لذلك، عندما تراه آتيًا إلى المعمودية، لا يقربن فكرك شك البساطة. لذلك، عندما اقترب السيد من العبد، مانعه هذا الأخير قائلًا: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!» (مت ٣:١٤).

معمودية يوحنا كانت للتوبة، وَلِلْحَثِّ على الاعتراف بالخطايا. حتى لا يظن الواحد أن السيد يأتي من أجل كل ذلك، يستدرك السابق الأمر ويدعوه أولًا «حمل الله» ومخلص العالم من الخطيئة كلها. طبعًا الذي بإمكانه أن يرفع خطيئة العالم كلها، ينبغي له أن يكون بلا خطيئة. لم يقل: «**هوذا الذي بلا خطيئة**»، بل قال بالحري:«هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!» (يو١:٢٩). هذا لكي تتقبل كل ما يجري أمامك. وإضافة إلى ذلك، أن تتحقَّق أنه يأتي إلى المعمودية لكي يُتمِّم تدبيرًا آخرَ وأبعد. لذلك عند اقتراب السيد من يوحنا، قال له هذا الأخير: أوأنت تطلب المعمودية؟ خشي أن يقول له ذلك. ماذا قال؟ «أوأنت تأتي إلي!».

ماذا فعل يسوع؟ عمل كما سوف يعمل مع بطرس. كان هذا الأخير يمانعه أن يغسل رجليه، لكن عندما سمع الكلمات التالية: «لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ». (يو١٣:٧)، وأيضًا:«إِنْ كُنْتُ لاَ أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ» (يو١٣:٨). عندما سمع بطرس كل ذلك استسلم وبدَّل موقفه. كذلك يوحنا المعمدان عندما سمع قول السيّد: «اسْمَحِ الآنَ، لأَنَّهُ هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرّ» (يو٣:١٥).

عند ذلك أطاع للحال، لأنه مع بطرس لم يكونا معترضين للنهاية، بل أظهرا محبة وطاعة لكل ما كان يصدر عن السيد. لاحظ كيف يتوجه السيد ليوحنا: لم يقل له «هكذا يقتضي العدل أو البِرُّ» بل قال: «هكَذَا يَلِيقُ بِنَا». كان يوحنا يعتبر نفسه غير مستحق لمثل هذا العمل، أي لاعتماد السيد من العبد، لذلك توجه إليه الرب، وكأنه يريد أن يقول له: لن تهرب من ذلك ولن تمانع كون الأمر غير لائق. دع الآن الأمور تجري كما أريد، وإضافة إلى ذلك أقول: هكذا يليق بنا أن نفعل.

لم يقل «دع الأمر» وحسب، بل أضاف «الآن» لأن الحدث لن يطول. سوف تراني بالشكل الذي تَوَدُّ. لكن الآن تَقَبَّلْ هذا التنازل.

وبعد ذلك يشرح لماذا يجرب الأمر كذلك، لكي يُتمِّم الناموس بكامله. يظهر ذلك من خلال عبارته «كُلَّ بِرّ». البِرّ هنا تتميم الوصايا. لقد أتم الوصايا الأخرى كلها. وبقيت هذه النقطة الأخيرة. لذلك لابُدّ من تتميمها. لأني جئت لكي أرفع عنكم اللعنة التي تلاحقكم بعد عصيان الناموس. لابد لي أولًا من أن أُتمم الناموس بكامله، وبعد تحريركم من القضاء، ترتفع عنكم اللعنة المكتوبة عليكم بعد العصيان. ها إني قد أخذت جسدكم وأتيت.

«حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ. فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ» (مت ٣:١٦).

كان كثيرون يعتبرون يوحنا أهم من المسيح، لأنه عاش مدة طويلة في البَرِيّةِ، وكان ابن رئيس كهنة، ويرتدي لباسًا تَقَشفِيًا خاصًا، ويدعو الكل إلى المعمودية، وقد وُلِدَ من عاقر. بينما المسيح أتى من فتاة غير معروفة، ولم يكن مولده البتولي معروفًا بعد، وقد نشأ في بيت بسيط، وكان يُعاشر الجميع، ويلبس اللباس العام، لذلك كان يُعْتَبَر أَقَلَّ من يوحنا. لم يكن الشعب بعد يعرف شيئًا عن ميزاته الفائقة الوصف. وجاء اعتماده على يد يوحنا داعمًا لهذا الاعتقاد غير الصحيح. رأوه واحدًا من كثيرين أتوا إلى المعمودية، وهو أكبر من يوحنا بكثير، وأعجب منه بكثير.

لذا لكي لا يسود هذا الاعتقاد عند الشعب، انفتحت السموات عند معموديته، ونزل الروح، وسمع الصوت مع نزول الروح.

«وإذا صوت من السماء قائلا: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» (مت ٣: ١٧)

الصوت وحده لم يكن كافيًا، إذ كان السامعون يظنون قوله «هذا هو» إشارة إلى **المُعَمِّد** (يوحنا المعمدان) لا **المُعَمَّد** (يسوع المسيح)، لذلك نزل الروح بشكل حمامة، فلفت الأنظار إلى يسوع، وبَيَّنَ بوضوح إشارة «هذا هو» إلى يسوع المُعْتَمِد، لا إلى يوحنا المُعَمِّد.

عدم إيمان اليهود:

أَيُعْقَل أن كثيرين لم يؤمنوا به بعد ذلك كله؟ نعم، ففي أيام **موسى** كانت تجري عجائب كثيرة، ولئن اختلفت نوعًا عن هذه الأخيرة، ورغم تلك العجائب، تلك الأصوات والأبواق والبروق، جلسوا وذبحوا **لبعل فاغور**. وهم أنفسهم كانوا حاضرين عند **إقامة لعازر من الموت، ورأوا الميت قائمًا، ومع ذلك لم يؤمنوا به**، لا بل كانوا يسعون جاهدين لقتله. لقد رأوا بأم أعينهم أمواتًا ينهضون، ومع ذلك لم يؤمنوا وبقوا خُبثاء. إذًا، لماذا تتعجب الآن من كونهم لم يؤمنوا بالصوت الآتي من السماء؟ عندما تكون النفس ناكرة للنعمة، ملتوية، مأخوذة **بمرض الحسد والغيرة**، لا ترتدع عن أي عمل شرير، وأيضا عندما تكون النفس شاكرة تقبل كل شيء بإيمان، ولا تحتاج إلى أية أعجوبة.

لا تَقُل: لِمَ لَمْ يؤمنوا، بل أنظر إلى كل ما قيل وَعُمِلَ لكي يؤمن الجميع. لقد أَوْرَدَ الله الدفاع على لسان النبي. كل ذلك جعل اليهود يهلكون بسبب منهم، ويسلمون أنفسهم إلى العقاب الأخير. لذا أراد الله أن يميز بين تدبيره الحَسَنِ وَخُبْثِهِمْ، بقوله: «مَاذَا يُصْنَعُ أَيْضًا لِكَرْمِي وَأَنَا لَمْ أَصْنَعْهُ لَهُ؟» (إش٥: ٤). كذلك، أي شيء يصنع هنا لم يصنعه؟ وإن دخل أحد في مناقشة حول موضوع عناية الله، يمكننا أن نلجأ إلى الطريقة الدفاعية السابقة ضد الذين كانوا يتهمونه ظلما بدافع شرهم. أنظروا إذا إلى العجائب الحاصلة الآن، التي تنذر بالحوادث المستقبلة. لم ينفتح الفردوس، بل انفتحت السموات. لندع هذا الموضوع جانبا، ونتابع شرح النص.

«فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ» (مت ٣: ١٦). لماذا انفتحت السماوات؟ لكي تعلم أنت أيضًا، أنه عندما تعتمد أنت، يحصل الأمر نفسه: يدعوك الله إلى الوطن السماوي، ويريد أن يقنعك بعدم ارتباطك بأي شيء على الأرض. آمن ولو لم تر. فالظهورات الحسية والعلامات السابقة للحوادث الروحية العجيبة تكون من أجل الضعيفي الإيمان، الذين هم بحاجة إلى مثل هذه الظهورات المحسوسة، الذين لا يعطون أي معنى للطبيعة اللامادية، بل يفتشون دومًا عن الأمور المنظورة فقط. لذلك، عليك، ولو لم تر بعد ذلك مثل تلك العلامات، أن تقبل بإيمان كل ما جرى حتى الآن من البداية. لقد جرى مع الرسل صوت ريح عاصفة، وظهرت ألسنة نارية. هذا لم يحصل من أجل الرسل، بل من أجل اليهود الحاضرين. ولكن، حتى وإن لم تجر بعد ذلك مثل هذه العلامات الحسية أمامنا، علينا أن نقبل أنها جرت مرة هكذا بالفعل. لأنه من أجل ذلك أيضا ظهرت الحمامة، ودلت الحاضرين مع يوحنا، كما بإصبع اليد، إلى ابن الله، لكي تعلم أنت أيضا أن الروح القدس ينزل عليك في وقت المعمودية.

لسنا بحاجة إلى علامات منظورة، بل يكفي أن يتوفر الإيمان عوضًا عنها. العلامات تَرِدْ لا من أجل المؤمنين بل من أجل غير المؤمنين.

لماذا ظهر الروح القدس بشكل حمامة؟ الحمامة طائر أليف طاهر. وبما أن الروح القدس هو روح وداعة، لذلك تراءى بشكل حمامة. ومن ناحية أخرى، هذا يذكرنا بقصة تاريخية قديمة، عندما غمر الطوفان كل المسكونة، وكاد الجنس البشري أن يفنى، كانت الحمامة الطائر الذي بيَّن بوضوح نهاية الغضب الإلهي، حاملة في منقارها غصن زيتون، كخبر مُفرح يعلن السلام العام. كل ذلك كان رسمًا لما سيحدث لاحقًا. كانت حالة الناس أبشع بكثير من حالتهم الحاضرة، وكانوا يستحقون عقابًا أكبر. فلكي لا تيأس أنت الآن، يذكرك هنا بتلك الحادثة القديمة: حين كان الرجاء مفقودًا، وَجَدَ حلًا وإصلاحًا. كان الطوفان في ذلك الوقت تأديبًا، وأما الآن فقد جاء الحل عن طريق النعمة والعطية الجزيلة. لذلك ظهرت الحمامة، لا تحمل غصن زيتون، ولكنها تشير إلى الذي سيخلص من كل الشدائد، وتبسط أمامنا رجوات صالحة، لأنها لا تخرج إنسانًا من الفُلْكِ، بل بظهورها تقود المسكونة كلها إلى السماء. لا تحمل غصن زيتون، بل **البُنُوَّةَ** للبشر كلهم. (**أي لنصبح أبناءً لله – أبنا الذي في السمات** ...).

الآن، وقد أدركت قيمة العطية، لا تحسب أن قيمة الروح ناقصة، بسبب ظهوره بشكل حمامة. أسمع البعض يقول إنه كما يختلف الإنسان عن الحمامة كذلك يختلف المسيح عن الروح، إذ ظهر المسيح بصورة طبيعتنا الإنسانية، بينما ظهر الروح القدس بصورة حمامة. فبم نجيب عن كل ذلك؟ إن ابن الله اتخذ طبيعة الإنسان، بينما الروح القدس لم يتّخذ طبيعة الحمامة. لذلك لم يقل الإنجيلي أن الروح ظهر «بطبيعة حمامة»، بل قال «بشكل حمامة». ولم يظهر الروح بعد ذلك بهذا الشكل، بل هنا فقط. فإن اعتمدت على هذه المقارنة، وحسبت أن كأن الروح قد صغر لهذا السبب، فسوف تجد الشاروبيم أسمى من الروح بكثير، كسمو النسر على الحمامة، لأن الشاروبيم ظهرت

بشكل نسر. كذلك تجد الملائكة أعلى بكثير، لأنهم يظهرون بشكل بشر. لكن طبعًا، كل ذلك غير صحيح. الحقيقة شيء والتدبير شيء. التنازل شيء، والظهور العابر شيء آخر.

لا تكن إذن ناكر الجميل نحو المحسن، ولا تنسب عكس ما يجب أن تؤديه إلى الذي وهبك ينبوع الغبطة. حيث تُكرَّم البنوة، يضمحل الشر، وتُمنح الصالحات كلها. لذلك بالضبط ينتهي دور المعمودية اليهودية وتبتدىء معموديتنا. ويجري في المعمودية ما يجري في الفصح. ينتهي دور الواحد ويبتدىء دور الآخر. هنا أيضًا، بعد إتمام المعمودية اليهودية تنفتح أبواب معمودية الكنيسة. ما يجري على المائدة يجري الآن على النهر.

يؤكد على الظل، ولكنه يضيف الحقيقة، لأن نعمة الروح القدس كائنة في معمودية يسوع المسيح فقط، ، بينما معمودية يوحنا لا تتضمن مثل هذه العطية. ولذلك لم يحصل للمعمدين الآخرين ما حصل للرب يسوع المسيح، لأنه هو من سيعطي هذه الموهبة.

وإلى جانب كل ما ذكرناه حتى الآن، اعلم ما يلي: ليست طهارة المعمودية هي التي حققت مثل هذه العطية، بل قوة ذاك الذي يعتمد. إذ ذاك فتحت السموات، ونزل الروح عليه. إنه يخرجنا من حياتنا القديمة إلى حياة جديدة، فاتحًا من أجلنا أبواب السماء، ومرسلًا من هناك الروح الذي يدعونا إلى موطننا هناك. لا يدعونا فقط بل يكرمنا إكراما فائقا. لأنه لم يجعلنا ملائكة ورؤساء ملائكة، بل أظهرنا أبناء الله وأحباءه، وهكذا جذبنا إلى الميراث الذي هناك ...

وحي الكتاب المقدّس بحسب الأب يوحنا رومانيدس

الأب
أنطوان ملكي

«كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللهِ كَامِلاً، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ.» (٢تي٣: ١٦). «عَالِمِينَ هذَا أَوَّلاً: أَنَّ كُلَّ نُبُوَّةِ الْكِتَابِ لَيْسَتْ مِنْ تَفْسِيرٍ خَاصٍّ. لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ.» (٢بط١: ٢٠).

ان نتكلم عن وحي (Theopneustis) الكتاب المقدس هو أن نتكلّم عن عمل الروح القدس. عندما يعلن المسيحيون أن الكتاب المقدس موحى به، فهم يصرّحون بالوسيلة التي اختارها الله ليعمل بين شعبه. الكتاب المقدس هو إحدى الطرق التي يحمل بواسطتها الروح القدس شهادة للحق، ويلهم ويؤيد ايمان المؤمنين.

المسألة المتعلّقة بوحي اسفار الكتاب المقدس، تشير إلى الوراء (**في الماضي**) إلى عمل الروح في كتابته، أي إلى إلهام الكُتّاب. كما تشير إلى الأمام إلى عمل هذا الروح في الكنيسة، الذي يعلم كيف يجب أن تفهم الكتابات، ويقود المؤمنين إلى هدفهم الذي هو بحسب الشهادة الرسولية وبحسب تعليم الآباء المشاركة في مجد الله. «وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ، فَهؤُلاَءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضًا.» (رو٨: ٣٠ و يو٣: ٢). لعله موضوع كل الاعلان الالهي أن يخلص الله الثالوثي ذاته خليقته من ضياعها وابتعادها ويقودها إلى الحياة الحقة. الكتاب المقدس هو الشهادة الموحى بها إلهيًا، والقانونية للإعلان الذي بالرغم من ذلك، يتخطى كل المفاهيم والتعابير، كونه شهادة للإعلان. الكتاب المقدس هو كلمة الله. الوحي هو عملية الروح القدس في مُؤَلِّفِي الكتاب المقدس، لكي يحملوا شهادة عن الاعلان (يو٥: ٣٩) دون أن يخطئوا حول الله وطرقه ووسائله من أجل خلاص الجنس البشري. بالتالي يصف مؤلّفو الكتاب المقدس طرق الله مع خليقته وشعبه وبذلك يشهدون لمجد الله المخفي عن أعين غير المؤمنين.

يتأتى الوحي من خبرة مجد الله المعلَن، من خلال الروح القدس. أظهر الله مجده لأنبياء العهد القديم وللرسل ولأنبياء العهد الجديد (اف٢: ٢٠، ٣: ٥). من الجدير ذكره أن التمجيد (glorification) لا ينفصل عن الصلب والآلام. هذا لا ينطبق فقط على سيدنا يسوع المسيح (يو١٢: ٢٣، ٣٢) لكن أيضًا على أتباعه (غل٢: ١٩-٢٠). التمجيد هو تَبَدُّل وتجدُّد الشخص بأكمله (رو١٢: ٢). إنه يعطي القوة لمؤلِّفي الكتاب المقدس لأن يعلنوا ويكتبوا كلمة الله.

إنَّ الأنبياءَ والرسلَ القديسين الذين اختبروا مجد الله وشهدوا له في الكتاب المقدس، يعلنون حقيقة الله وَسُبُلَ الشركة معه. حول هؤلاء أنفسهم كتب بولس: «وَأَمَّا الرُّوحِيُّ فَيَحْكُمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ لاَيُحْكَمُ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ. «لأَنَّهُ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ فَيُعَلِّمَهُ؟» وَأَمَّا نَحْنُ فَلَنَا فِكْرُ الْمَسِيحِ.» (١كو٢: ١٥-١٦).

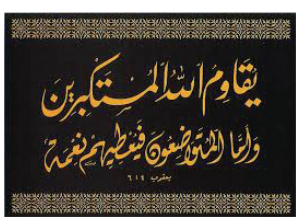

ميلاد السيّد المسيح (١)

للقديس يوحنا الذهبي الفم

«وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ:«أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ».» (مت٢: ١-٢)

١) ما أحوجنا إلى الكثير من الانتباه والصلاة، حتى نَصِل إلى تفسير هذا النَّصِّ الذي بين أيدينا، فلكي نفهم مَنْ هم المجوس؟ ومَنْ كانوا؟ ومن أين جاءوا، وكيف أتوا؟ ومَنْ الذي أقنعهم بالمجيء؟ وما هو ذلك النجم الذي ظهر لهم؟ دعنا نبدأ إذن بما يتردّد على ألسنة أعداء الحق، الذين ضربهم الشيطان حتى أنَّهم يتسلَّحون ضد كلمة الله الصادقة.

فما الذي يدَّعيه هؤلاء المعاندون؟ إنَّهم يقولون: «**هوذا قد ظهر نجم في السماء عند ميلاد المسيح نفسه، وهذا دليل على أنَّه باستطاعتنا الاعتماد على التنجيم.**» ونحن نرد عليهم بقولنا: «إذا كان السيد المسيح قد سمح لميلاده بالحدوث طبقًا لناموس الفَلَكِ والنجوم، فلماذا إذن قد حقَّر من شأن التنجيم، ونفى مسألة القدر أو الحظ؟ ولماذا إذن قد سَدَّ أفواه الشياطين وطرح الشرّ إلى أسفل ورفض ممارسة السحر؟» ولكن، ما الذي تَعلَّمه المجوس من النجم في حدِّ ذاته؟ هل عرفوا من خلاله أنَّ المولود هو ملك اليهود؟ بالطبع لم يعرفوا من النجم أنَّ المولود هو ملك اليهود، وإنْ كان الرب يسوع لم يكن مجرد ملكًا لليهود، بل كما قال لبيلاطس: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ» (يو١٨: ٣٦). فهو على أيَّة حال لم يقم بأيَّة استعراضات من هذا النوع، فلم يكن له حراس مُدجَّجون بالحراب والدروع، ولم يركب الخيل، ولا العجلات التي تجرها البغال، ولم يُحِطْ نفسه بأي شيء آخر من هذا القبيل. بل عاش حياته بما فيها من فقر وٱتضاع، وكان يرافقه أينما ذهب اثنا عشر رجلًا من طبقة اجتماعية متواضعة.

وحتى لو عرف المجوس أنَّه ملك، فماذا كان الغرض من قدومهم؟ فمن المُؤكَّد أنَّ عمل المُنجِّمين ليس أن يعرفوا المواليد من تتبُّع نجومهم، بل أنْ يتنبَّأوا عما سيحدث لهم، وذلك بمعرفة الساعة التي تَتِمُّ فيها الولادة، وهذا هو ما نعرفه عن المُنجِّمين والفَلَك. إلَّا أنَّ هؤلاء الرجال لم يكونوا حاضرين مع أُم الصبي في آلام المخاض، ولم يعرفوا الوقت الذي وُلِد فيه الصبي. كما أنَّهم لم يَحسِبوا، اعتمادًا على حركة النجوم وعلى توقيت ميلاد الصبي، ما الذي يتوقَّعون حدوثه في حياته. بل على العكس من ذلك تمامًا، فقد رأى هؤلاء الرجال نجمًا يظهر في بلادهم البعيدة قبل ذلك بزمنٍ، وإذا بهم الآن يأتون لرؤية المولود. إنَّ هذا الموقف يثير في حدِّ ذاته مشكلة أكبر من المشكلة الأولى. ترى ما السَّبب الذي دفعهم للسجود لذلك المولود الذي كان مَلِكًا على بلاد بعيدة كل البُعد عن وطنهم (**فلسطين عن بلاد الفُرس**)، وما المكاسب التي كانوا يتوقَّعون الحصول عليها من هذا السجود؟ لو كان هذا الملك سوف يحكم بلادهم، لأمكننا بكل تأكيد الوصول إلى تفسير مُقنِع لهذه الحالة. ومما لا شك فيه أنه لو كان قد وُلِد في قصور ملكية، ولو كان أبوه نفسه مَلِكًا وحاضرًا إلى جانبه، لأمكننا القول أنهم سجدوا للطفل المولود أملًا منهم في كسب ودّ والده العظيم، ومن ثَمَّ يدَّخِرون لأنفسهم مُبرِّرًا قويًا لحصولهم على الرعاية والاهتمام في المستقبل. أمَّا وأنَّهم لم يكونوا يتوقَّعون مُطلقًا أن يكون هذا الطفل مَلِكًا عليهم، بل مَلِكًا على أمَّة غريبة بعيدة كل البُعد عن بلادهم. وبما أنَّهم لم يروه وقد كبر وأصبح رجلًا يُعتَّد به، فلماذا إذن تراهم قد أقدموا على مثل هذه الرحلة الطويلة، مُقدِّمين هدايا للصبي مع عِلْمهم بأنهم حتمًا كانوا سيواجهون أخطارًا تهدِّد قصدهم؟ فهيرودس، من ناحية، كان في أشدّ حالاته اضطرابًا عند سماعه لتلك الأخبار، كما كان الشعب كله أيضًا في حالة من الارتباك عندما وصلت إلى مسامعهم هذه الأخبار.

فهل هؤلاء الرجال لم يتوقَّعوا ما حدث؟! بلى، فإنَّ ذلك ليس أمرًا معقولًا، لأنَّه مهما كانت حماقتهم، فإنهم بالطبع يعرفون أنَّه عند مجيئهم إلى مدينة تحت حُكم ملك قوي، وعند مناداتهم بوجود ملك آخر، فلا شك أنَّهم يجلبون الموت على أنفسهم ألف مرة ومرة.

٢) ثم لماذا يسجدون في الأصل لمولودٍ في أقمطة؟ لأنَّه لو كان

رَجُلًا مُكتمِل السِّن، لأمكننا القول أنَّهم كانوا يتطلَّعون إلى المعونة التي يحصلون عليها منه، الأمر الذي جعلهم يزُجُّون بأنفسهم في أخطار كانوا يعرفونها مُسبقًا. إلَّا أنَّ هذا التفسير أبعد ما يكون عن المعقول، حيث أنَّه من غير المُتوقَّع أنْ يَقبَل الفُرس أو غيرهم من الأمم التي لا تشترك مع اليهود في أي شيء على الإطلاق بمغادرة ديارهم، والتخلِّي عن بلادهم وذويهم وأصدقائهم، ويذهبون للخضوع لمملكة أخرى.

من هدايا المجوس

إذا اعتبرنا هذا السلوك ضربًا من ضروب الحماقة، فإنَّ ما يترتَّب عليه هو أكثر حماقة. فما معنى أنهم بعد إقدامهم على مثل هذه الرحلة الطويلة، وسجودهم للمولود، وتسبُّبهم في حيرة المواطنين، تراهم يرحلون عائدين إلى بلادهم بمثل هذه السرعة؟ وما هي علامة المُلْك التي رأوها عندما أوصلتهم أرجلهم إلى حظيرة ومذود، وطفل في أقمطة، وأُمٍ فقيرة؟ .. ولِمَنْ قدَّموا هداياهم؟ وماذا كان غرضهم؟ هل كان أمرًا شائعًا ومُعتادًا أنْ يُقدَّم كل هذا التقدير للملوك المولودين في أي مكان؟ وهل كان هؤلاء الرجال يواظبون على السفر في جميع أنحاء العالم، مُقدِّمين السجود للأطفال الذين يعلمون بأنَّهم سوف يَصيرون مُلوكًا، ويعتلون عروشهم على الرغم من ولادتهم في طبقات اجتماعية متواضعة؟ مرة ثانية نقول كَلَّا، وما من أحد يمكن أن يوافق على هذا الرأي.

ثم لأي غرض تراهم سجدوا له من الأساس؟ إن كان لأمور حاضرة، فما هو هذا الشيء الذي كانوا ينتظرون الحصول عليه من طفل رضيع وأُم فقيرة؟ وإنْ كان لأشياءَ آتية، فمَنْ ذا الذي أعلمهم أن الطفل الذي كانوا قد سجدوا له وهو في الأقمطة سوف يتذكَّر صنيعهم في مُستقبَل الأيام؟ هل كانت أمه ستذكِّره؟ إنَّها لو فعلت ذلك، لما أصبح هؤلاء الرجال أهلا للإكرام، بل بالحري للعقاب؛ لكونهم عَرَّضوا المولود لخطر لابُدَّ وأنَّهم قد توقَّعوه. ففي تلك الآونة كان هيرودس مضطربًا، فبحث بالتدقيق، وتجسَّس، واعتزم أن يقتل الصبي. وبالطبع فإنَّ كل مَنْ يُخبِر بالمَلِك الآتي، مُعتبِرًا إياه ذا شأن عظيم وهو لا يزال طفلًا، إنما يكشف عن الصبي مُقدِّمًا إياه للذَبْح، ومُشْعِلًا ضده حربًا لا تنطفئ.

لعلَّك الآن تدرك هذه الخرافات الكثيرة، والتي سرعان ما تتضح لنا إذا ما سلَّطنا الضوء على هذه الأحداث من وجهة النظر البشرية والتقاليد المُتعارَف عليها. فباستطاعتنا الحديث عن أمور أخرى كثيرة تحتوي على مضمون يُثير تساؤلات أكثر مما ذكرنا حتى الآن. ولكن لئلا نُحيِّرك بما ننسجه من تساؤلات متواصلة، دعنا نبادر الآن بالحديث عن تفسير تلك الأمور التي تساءلنا عنها، على أن نبدأ حديثنا عن التفسير بالنجم نفسه.

٣) فإن كان باستطاعتك أن تعرف ما هو النجم وما هو نوعه، وما إذا كان أحد النجوم العادية، أم نجمًا جديدًا ومُختلِفًا عن باقي النجوم، وما إذا كان نجمًا بالطبيعة أَم أنَّه كان نجمًا بالظاهر فقط. فإذا تسنَّى لك معرفة ذلك، فسوف يَسهُل عليك معرفة باقي الأمور أيضًا. ولكن كيف تتضح لنا كل هذه الأشياء؟ يُمكننا أنْ نجد الإجابة على ذلك بانعام النظر فيما هو مكتوب (الآيات الواردة في بداية النَص).

أولاً: لم يكن النجم أحد النجوم العادية المعروفة، أو أنَّه لم يكن نجمًا على الإطلاق – كما يبدو الأمر لي على الأقل – إنما كان عبارة عن قوة خفية أخذت مظهر النجوم، وهو ما يبدو جليًا من مسار هذا النجم. فالواقع يُخبرنا بأنَّه لا يُوجَد أي نجم يتحرَّك على هذا النحو. ولكنك إذا كنت تتحدث عن الشمس أو القمر أو باقي النجوم الأخرى، فإننا نراها تتحرك من الشرق إلى الغرب. أمَّا هذا النجم الفريد فقد كان مُنطلِقًا من الشمال إلى الجنوب، تمشِّيًا مع موقع فلسطين بالنسبة لبلاد الفرس.

ثانيًا: يمكننا التوصل إلى حقيقة أنَّ هذا النجم لم يكن نجمًا عاديًا من خلال زمان ظهوره. فإنَّ هذا النجم لم يظهر في الليل، بل في منتصف النهار والشمس ساطعة. وهو أمر ليس في مقدرة النجوم أو القمر، حيث أن القمر الذي يفوق الجميع لا يكاد يلمح أشعة الشمس إلَّا ويختبئ مُسرِعًا، مُختَفِيًا عن الأعيُن. أما هذا النجم فقد فاق بهاؤُهُ كل شيء حتى أشعة الشمس نفسها، وظهر لامعًا برَّاقًا أكثر منها، وساطعًا بضياء أكثر عظمة وتفوُّقًا.

ثالثًا: لابُدَّ لنا من تأمُّل أمر ظهور النجم واختفائه من تلقاء نفسه مرة ثانية. فالنجم يظهر لهؤلاء الرجال على امتداد طريقهم وحتى وصولهم إلى فلسطين وكأنه يقودهم، أمَّا بعد دخولهم أورشليم فيُخْفِي نفسه. ثم بعد أنْ يتركوا هيرودس وقد أخبروه عن سبب قدومهم، وبعد أنْ كانوا على وشك الرَّحيل، إذا بالنجم يعاود ظهوره. كل هذا يختلف تمامًا عن حركات النجوم، بل قد تمَّ بقوة حباها الله بكثير من العقل والمنطق. فإنَّ هذا النجم لم يكن له مسار خاص على الإطلاق، بل كان يتحَّرك عندما يتحَّركون، ويقف عندما يقفون، وفق ما اقتضت الحاجة، كما كان عمود السحاب يقود اليهود بالتوقف تارة، وباليقظة والاستعداد تارة أخرى، حسب ما كانت الضرورة تدعو.

رابعًا: أيضًا يمكننا التأكُّد بمنتهى الوضوح من حقيقة أنَّ هذا النجم لم يكن نجمًا عاديًا من طريقة الإعلان عن مكان الصبي. فنجمنا

هذا لم يفصح للمجوس عن مكان المولود وهو باقٍ بعيدًا في العلاء، لأنَّه في تلك الحالة يكون من المحال بالنسبة لهم التأكد من المكان المشار إليه. ولكن النجم نزل إليهم مُؤدِّيًا هذه المهمة وهو على مقربة منهم. ولعلَّنا نعرف جيدًا أنَّه من المحال أنْ تستُخدَم النجوم للإشارة إلى موقع أو مكان نقطة صغيرة الأبعاد على هذا النحو، لا تزيد عن مساحة حظيرة، أو بالحري عن الحيِّز الذي يشغله جسد طفل رضيع، فإنَّ الارتفاع الشاهق للنجم يجعل من المُتعذِّر عليه تمييز نقطة صغيرة ومحصورة بالدقة المطلوبة، ويجعل من الصعب جدًا إيضاح هذه النقطة لِمَنْ يرغبون في رؤيتها. أمَّا القمر فالجميع يستطيعون الاهتداء بضوئه لرؤية الأشياء. حيث يظهر نوره فائقًا على ضوء النجوم، ويبدو لجميع الساكنين في العالم، والمنتشرين على نطاق واسع على ظهر الأرض، وكأنه قريب من كل واحد منهم. أَخْبِرْنِي إذن كيف أشار النجم إلى تلك النقطة المحصورة، التي لا تزيد عن مساحة المذود والحظيرة، إلَّا إذا كان النجم قد نزل عن ارتفاعه الشاهق، ووقف عند رأس الصبي؟ ولعل ذلك هو ما كان البشير يشير إليه بقوله:

«وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقُ، حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ.» (مت٢: ٩).

٤) هل تأكدت الآن من كل هذه الدلائل والإثباتات كيف أنَّ هذا النجم لم يكن يظهر كأحد النجوم، وأنَّه لم يَسِر تبعًا لنظام الخليقة المنظورة؟ وهل عرفت السبب الكامن وراء ظهوره؟ لقد ظهر لتوبيخ اليهود، وحرمانهم من أيَّة فرصة لتبرير جهلهم العنيد. فبما أنَّ الآتي كان سيضع نهاية للنظام القديم، داعيًا العالم كله إلى عبادته والسجود له في كل مكان، بحرًا كان أم برًا. ها هوذا منذ البداية يفتح الباب أمام الأمم بنفسه، واعظًا خاصته في الوقت نفسه من خلال الغرباء. ولمَّا كان أنبياء العهد القديم قد تحدَّثوا عن مجيئه بلا انقطاع، ومع ذلك لم يعبأ بهم شعبه، لذا فلقد سمح لأُناس أمميين بالقدوم من بلاد بعيدة بحثًا عن الملك الذي كان في وسط شعبه ولم يشعروا به.

فالآن أصبح على اليهود أنْ يسمعوا من لسان فارسي ما لم يخضعوا لسماعه بفم الأنبياء. فمن ناحية نقول أنَّه لو كان لديهم أدنى استعداد للأمانة، لكان لهم الدافع الأقوى للطاعة. ومن الناحية الأخرى نُؤكِّد أنَّهم إذا كانوا من أهل التحزُّب والعناد، فليس لهم أي عذر. فما الذي يمكنهم قوله وقد رفضوا السيد المسيح بعد كل ما جاءهم من أنبياء؟ ورؤيتهم للمجوس الذين لمَّا نظروا نجمًا واحدًا، قَبِلوا المولود وجاءوا ساجدين له. فإنَّ هذا هو أقرب ما يكون إلى ما فعله الله مع أهل نينوى عندما أرسل إليهم يونان النبي. وهو أمرٌ قريب الشبه أيضًا بالمرأتين السامرية والكنعانية. ولهذا السبب أيضًا نسمعه يقول «رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ» (مت١٢: ٤١) و«مَلِكَةُ التَّيْمَنِ سَتَقُومُ فِي الدِّينِ مَعَ هذَا الْجِيلِ وَتَدِينُهُ» (مت١٢: ٤٢). فإنَّ جميع أولئك آمنوا بما هو أقل، بينما لم يؤمن اليهود بمَنْ هو أعظم.

وقد يتساءل أحد قائلًا: «ولكن لماذا جذب الله المجوس بمثل هذه الرؤيا؟» ونرُد نحن بقولنا: وماذا كان عليه أن يفعل؟ أيُرسِل لهم الأنبياء؟ حسنًا، ولكن المجوس ما كانوا ليخضعوا لهم. أيُرسِل لهم صوتًا من السماء؟ كلَّا، فما كانوا لينصتوا. أيُرسِل لهم ملاكًا؟ ولكنهم ما كانوا ليعبأوا بالملائكة. وهكذا لم يلجأ الله إلى أيٍّ من هذه الوسائل، بل هوذا يدعوهم، بتواضع شديد، من خلال الأشياء المألوفة لديهم. ولذا فهو يُشرِق عليهم ههنا بنجمٍ كبير وغير عادي، لعلَّهم يلتفتون بسبب دهشتهم من ضخامة حجمه وجمال منظره وطريقة تحرُّكه.

وقياسًا على ذلك، فعندما تحدَّث بولس الرسول مع قومٍ من اليونانيين غير المؤمنين الذين يتعبَّدون على مذبح وثني، استشهَد بنصوص من شعرائهم. وعندما تحدَّث مع اليهود أثار موضوع الختان، وجعل من موضوع الذبائح مُقدِّمة لتعليمه الذي يُوجِّهه إلى مَنْ يعيشون تحت الناموس. فبما أنَّ كُلًا منَّا يعتز بما أَلِفه واعتاد عليه، فإنَّ الله نفسه والأنبياء الذين أرسلهم يعتمدون على هذا المبدأ أثناء عملهم لخلاص العالم. ولذلك فلا يجب عليك الاعتقاد بأنَّه لم يكن من اللائق أنْ يستخدم الله نجمًا، حيث أنَّك إنِ اعتقدت بذلك، فسوف تجد جميع طقوس اليهودية أمورًا غير لائقة أيضًا سواء الذبائح، أو التطهيرات، أو رؤوس الشهور، أو تابوت العهد، أو حتى الهيكل نفسه. حيث أنَّ هذه الأشياء نفسها قد اشتُقَّت من أصول أممية. ومع ذلك كله، ومن أجل خلاص جميع الذين كانوا يعيشون في الضلال، احتمل الله وَقبِل أنْ تقدَّم له الخدمة من خلال تلك الأشياء، مع أنَّ الذين هم من خارج كانوا يستخدمونها في تقديم الخدمة للشياطين. إلَّا أنَّ الله غيَّرها قليلًا حتى يجتذب الأمم شيئًا فشيئًا بعيدًا عن عاداتهم، لكي يقودهم نحو الحكمة العليا. إنَّ هذا هو ما فعله الله في حالة المجوس، غير مزدرٍ أنْ يدعوهم برؤية نجم، لكي يرفعهم أكثر فأكثر فيما بعد. من هنا، فبعد أنِ اقتادهم الله وأمسك بأيديهم ووضعهم عند المذود، ليس بنجمٍ بعد يتكلَّم الله معهم الآن بل بواسطة ملاك. من هنا يُمكِن القول أنَّ هؤلاء الرجال قد ارتقوا إلى الأفضل.

وهذا هو ما حدث أيضًا في أشقلون وغزة إذ كانتا من المدن الخمس

التي ضُرِبت بوباء فتّاك عند مجيء تابوت الرب، ولم تجد لها خلاصًا من الشرور التي كانت تئنُّ تحت نيرها، عندئذ نادى أهل تلك المدن على أنبيائهم، واجتمعوا معهم في محاولة لاكتشاف المَخرَج والمفَرّ من هذا التأديب الإلهي. عندئذٍ أَمَرَهم أنبياؤهم أنْ يربطوا بالتابوت بقرتين مرضعتين ولم يَعْلُهُمَا نير (أي غير مُروَّضتين)، ويطلقوهما في طريقهما وبدون قيادة من أي إنسان حتى يكون ذلك دليلًا على ما إذا كان الوباء من عند الرب أم مجرد حادث عارِض، ذاك الذي ابتلاهم بهذا المرض العضال. وقال الأنبياء: «إذا مزَّقت البقرتان النير لقلة خبرتهما أو مالتا في الاتجاه الذي يأتي منه صوت ثغاء عجولهما الصغار، فمعنى ذلك أنَّ الوباء كان بمحض الصدفة. إما إذا اتجهتا في طريقهما مباشرة ولم تخطئا الطريق، ولم تتأثرا بثغاء الصغار أو بجهلهما بالطريق، يكون من الواضح أن يد الله هي التي ضربت تلك المدن». وأنا أقول لكم أنَّ أهل هذه المدن سمعوا كلام أنبيائهم وأطاعوه ونفَّذوه، بل أنَّ الله نفسه عمل تِبعًا لمشورة أولئك الأنبياء، مُبديًا تواضعًا عظيمًا في هذه الحالة أيضًا، ولم يحسب تنفيذه لتوقُّعات أولئك الأنبياء بمثابة إقلال من شأنه، بل جعلهم يظهرون أهلًا للثقة فيما تكلَّموا به. ولِمَ لا، طالما أنَّ الخير الذي تحقَّق كان أعظم بكثير، وهو أنَّ أعداء الله أنفسهم شهدوا بقوته. نعم فلقد خرجت أقوال معلميهم مُصدِّقة ومُؤيِّدة لقوة الله. وما أكثر الأمور التي يتمجَّد فيها الله على هذا النحو...

ولنعاود الحديث الآن عن النجم. لقد ذكرنا أمور كثيرة، ويمكنكم أنتم أن تذكروا ما هو أكثر؛ إنَّه مكتوب: «أَعْطِ حَكِيمًا فَيَكُونَ أَوْفَرَ حِكْمَةً. عَلِّمْ صِدِّيقًا فَيَزْدَادَ عِلْمًا.» (أم ٩: ٩). وإنَّه يتحتَّم علينا الآن الرجوع إلى ما بدأنا بالحديث عنه.

٥) وما هي البداية؟ «وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ». في الوقت الذي قَبِلَ فيه المجوس بالسير وراء نجم، لم يؤمن اليهود بالأنبياء الذين كادوا يصرخون في آذانهم. ولكن لماذا يُخبِرنا الله بزمان ومكان مجيئه قائلًا: «في بيت لحم»، و«في أيام هيرودس الملك»؟ ثم لماذا يُضيف منصب **هيرودس**؟ السبب هو أنَّه كان يُوجَد **هيرودس** آخر في ذلك الزمان، وهو **هيرودس** الذي قطع **رأس يوحنا المعمدان**، ولكن قاتِل يوحنا كان مجرد رئيس رُبع، أمَّا هيرودس هذا فكان مَلِكاً على اليهودية كما أنَّه يُحدِّد المكان والزمان ليُذكِّرنا بنبوات قديمة جاءت إحداها على فم ميخا النبي عندما قال: «أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمَ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا» (ميخا٥: ٢)، والنبوة الثانية من أب الأسباط يعقوب، الذي حدَّد لنا الزمان بكل وضوح وذكر لنا علامة مجيء الرب، وذلك عندما قال يعقوب: «لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ.». (تك ٤٩: ١٠).

ويجُرنا هذا إلى التساؤل من جديد: متى بدأ المجوس يفكِّرون في أمر المولود، ومَنْ الذي حرَّك قلوبهم؟ فالأمر لا يبدو لي على أنَّه عمل النجم وحده، بل عمل الله أيضًا، الذي، حرَّك نفوسهم، وهو نفس ما فعله في حالة **الملك كورش** عندما جعله يُطلِق سراح اليهود. ومع ذلك فإنَّ الله لم يفعل هذا الأمر لحرمانهم من إرادتهم الحرة. والدليل على ذلك أنَّه عندما نادى **الله بولس** بصوت من السماء، فقد جعل ذلك فرصة لإظهار نعمته من ناحية وطاعة بولس وخضوعه من الناحية الأخرى.

وقد يتساءل المرء: ولكن لماذا لم يُظهِر الله هذا الأمر لجميع المجوس الذين في الشرق؟ والإجابة هي أنَّ الجميع ما كانوا ليؤمنوا، بل كان هؤلاء الرجال أكثر استعدادًا من الباقين. قِسْ على ذلك أنَّ الله أرسل نبيًا إلى أهل نينوى وحدهم، بينما هلكت أمم أخرى كثيرة لا حصر لها. ومع أنَّه كان هناك لصَّان مصلوبان مع **السيد المسيح**، إلَّا أنَّ واحدًا منهما فقط هو الذي خَلُصَ دون الآخر. وأخيرًا يمكنك أنْ تُدرك قَدرَ هؤلاء الرجال، ليس فقط بسبب قدومهم، بل لشجاعتهم في الكلام. فحتى لا يكونوا كاذبين أو تحت شُبهَةِ الكذب، تراهم يُفصِحون عن طول رحلتهم وعمَّنْ هداهم في الطريق. وإذ هم قد جاءوا بالفعل، تراهم يُبدون شجاعة في الحديث ويُصرِّحون عن سبب مجيئهم قائلين: «لأننا أتينا لنسجد له.» وهم لم يخافوا من غضب الشعب، ولا من طغيان الملك. ومن ثَمَّ فإنني على قناعة بأن هؤلاء الرجال كانوا مُعلِّمين في بلادهم؛ لأن الذين لم يخافوا من التكلُّم في بلاد غريبة، لابُدَّ وأنهم أكثر جرأة على التحدُّث في بلادهم، لا سيِّما وقد حصلوا على إرشاد الملاك وشهادة النبي.

السبيل إلى السلام

القديس نيقوديموس الأثوسي

سبيل تحقيق السلام هي كما يلي: أن تنسى تمامًا سقوطك والخطيئة وتهب ذاتك للتفكّر في صلاح الله العظيم الذي لا يوصف، وحقيقة استعداده ورغبته أن يغفر كل الذنوب، مهما بلغت خطورتها، داعيًا الخَطَأَة بطرق متنوعة ليعودوا إلى رشدهم وينضمّوا إليه في هذه الحياة، ومن ثمّ بنعمته يتمجّدونَ ويكونونَ مباركين إلى الأبد.

وعندما يهدأ عقلك بهذه الممارسة كما بالأفكار والمداولات الأخرى يمكنك العودة إلى سقوطك والقيام بما ذكرته أعلاه.

عندما يحين الوقت للاعتراف، الذي أحثك على القيام به بتكرار، تذكّر كلّ خطاياك وبألم جديد وغمّ على حزن الله وبعزم صادق على عدم إحزانه مجددًا، اعرضْ خطاياك كلها لأبيك الروحي وطبّقْ القانون الذي يعطيك عن طيب خاطر.

ميلاد السيّد المسيح (٢)

للقديس يوحنا الذهبي الفم

«لَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ اضْطَرَبَ وَجَمِيعُ أُورُشَلِيمَ مَعَهُ. فَجَمَعَ كُلَّ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَكَتَبَةِ الشَّعْبِ، وَسَأَلَهُمْ: «أَيْنَ يُولَدُ الْمَسِيحُ؟» فَقَالُوا لَهُ: «فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ. لأَنَّهُ هكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِيِّ: وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ، أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا، لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ» (مت ٢: ٣-٦)

مخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل

١) هل تبيَّن لك الآن أنَّ جميع الأشياء قد تمَّت لإدانة اليهود؟ فلعلَّك أدركت كيف أنَّ **الحسد** لم يكن قد تملَّكهم بعد قبل أن يروا المولود، ولذلك أخذوا يشهدون له بالحق. ولكنهم عندما شاهدوا المجد المُصاحِب لمعجزات ميلاده، وجدنا أنَّ روح البُغضة تستحوذ على كيانهم، فأخذوا ينكرون الحق، بدلًا من الشهادة له.

غير أنَّ الحق كان يزداد عُلوًا في كل شيء، بل ويزداد وضوحًا حتى من أفواه الأعداء والمعاندين. انظر معي في حالة **ميلاد الرب يسوع** مثلاً: ما أعظم ما تحقَّق، وما أبعده عن توقُّعاتنا! فكلٌّ من الأمم واليهود قد عرفوا المزيد والمزيد من بعضهم البعض، بل وقد علَّموا بعضهم البعض في نفس الوقت أيضًا. فمن جانب، سمع اليهود من المجوس عن إعلان النجم عن المولود حتى في أرض فارس. ومن جانب آخر، سمع المجوس من اليهود أنَّ الشخص الذي أعلن النجم لهم عن مجيئه كان هو نفسه موضوع حديث الأنبياء منذ زمن بعيد.

وسرعان ما تحوَّلت رغبة الفريقين في التساؤل عن زمن ميلاد المسيح إلى فرصة للوصول إلى إرشاد أوضَح وأكمَل عن شخصه. واضطرَ أعداء الحق – على عكس إرادتهم – أن يقرأوا ما كُتِب في الأسفار المقدسة شهادةً للحق، ويُفسِّروا أقوال الأنبياء تفسيرًا صحيحًا، وإن لم يكن كاملاً. فعلى الرغم من حديثهم عن بيت لحم وكيف أنَّه لابُدَّ أن يخرج منها مَنْ هو مُزمِع أنْ يحكم إسرائيل، إلَّا أنهم لم يذكروا ما هو مكتوب بعد ذلك، والسبب بالطبع رغبتهم في مجاملة هيرودس الملك. ولكن ما هو ذلك الذي لم يذكروه خوفًا من الملك؟ إنه قول الكتاب عن المولود: «وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ» (مي ٥: ٢).

شهود كثيرون

٢) ولكن قد يتساءل أحد: «لماذا وهو مُزمِع أنْ يأتي من أرض يهوذا، تراه قد عاش في الناصرة، مُزيدًا على النبوة غموضًا وإبهامًا؟» ونحن نقول: كلَّا، فإنَّه لم يجعل النبوة غامضة، بل كشفها وجعلها غاية في الوضوح. فلقد كانت أُم الصبي تعيش في موضع ما طوال حياتها، ثم اضطرت لأنْ تضع طفلها في مكانٍ آخر، وهذا في حدِّ ذاته دليل على وجود تدبير إلهيٍّ خَفِيٍّ. ثم دَعني أُضيف أنَّ الصبي بَقِيَ في موضع ولادته أربعين يومًا كاملة قبل أنْ ينطلق من هناك، مُفسِحًا المجال أمام الراغبين في التحرِّي عنه والاستقصاء عن جميع أموره بمنتهى الدقَّة.

ففي واقع الأمر كانت هناك أمور كثيرة تدفع البعض إلى التساؤل والاستفسار، ولا سيِّما في حالة المُهتمِّين بمتابعة كل ما كان يحدث آنذاك. هكذا نقرأ أنَّه عند مجيء المجوس، اضطربت المدينة كلها شعبًا وملكًا، واجتمع رؤساء الكهنة وكتبة الشعب، وتمَّ الرجوع إلى النبوة. وكم من أشياء أخرى كثيرة حدثت في المدينة وأوردها القديس لوقا البشير في أدَّق تفاصيلها. أقصد الأمور المتعلِّقة بحَبَل النبية وسمعان الشيخ وزكريا أبي يوحنا المعمدان وكذلك الأمور المتعلِّقة بالملائكة والرعاة. إنَّها الأمور التي تكفي في حدِّ ذاتها لكي يتأكَّد منها المُتابِع والمُدقِّق عن سرّ ما كان يحدث آنذاك. فلو كان المجوس الذين جاءوا من بلاد فارس البعيدة يعرفون مكان ولادة الصبي، لكان من الأولى بسكَّان المنطقة أن يكونوا هم أنفسهم على عِلم بجميع هذه الأمور.

فلقد أظهر نفسه منذ البداية بالعديد من المعجزات، ولكنهم عندما لم يرغبوا ولم يريدوا أن يروا، فإذا به يُخفِي نفسه بُرهةً من الزمان، حتى يظهر مرة ثانية في صورة بداية جديدة أكثر مجدًا، ولكن في هذه المرة، لم يكن الإعلان من المجوس، ولا من النجم، بل الآب من السماء أعلن عنه عند نهر الأردن، والروح أيضًا نزل عليه، مُوجِّهًا انتباه الجميع إلى أنَّ الصوت الذي سُمِعَ كان يخصُّ الشخص المُعَمَّد. أما يوحنا فقد صاح بكل ما يحمله القول من وضوح، بل وأخذ ينادي في اليهودية كلها، حتى امتلأت أحياؤها المعمورة والمهجورة على حدٍ سواء بتلك الدعوة. بل إنَّ الأرض والبحر والخليقة كلها نطقت بصوت واضح، شاهدةً له من خلال تلك المعجزات. لكنني أرجع فأقول أن أشياء عديدة قد حدثت عند

وقت ميلاده، وقد ارتبطت جميعها وفي هدوء تام بكونها إشارات عن ذاك الذي كان مُزمعًا أنْ يأتي.

وهكذا ولكي لا يتعلَّل اليهود بقولهم: «ولكننا لم نكن نعرف موعد أو مكان ولادته»، جاء المجوس يعلنون اهتمامهم بتلك الأمور التي كانت عناية الله قد رتَّبت للكشف عنها، وليس موعد ومكان الولادة فقط بل جميع ما تحدَّثنا عنه من قبل، هذا كله لكي لا يكون لهم عذر يدَّعون به أنَّهم لم يكن لهم عِلم مُسبَّق بجميع ما حدث من أمور.

بيت لحم مدينة المخلص

والآن تأمَّل معي في دِقَّة النبوة. فالنبي لا يقول: «أنَّه سيعيش» في بيت لحم، بل «إنَّه سيخرج منها.» أي أنَّ هذا الأمر كان عنصرًا آخر في النبوة يشير إلى أنَّ بيت لحم كانت فقط مكان الميلاد وليست مكان المعيشة.

غير أنَّ بعضهم، ممَّنْ لا يعرف الخجل طريقه إليهم، يقولون في جرأة أنَّ هذه الأقوال تخصُّ **زَرُبابل** لا **المسيح**. فكيف يُمكِن أنْ يكون كلام هؤلاء صحيحًا؟! فنحن نعلم يقينًا أنَّ مخارج زَرُبابل لم تكن «وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ». كما أنَّ قول الكتاب الذي جاء قبلاً عن بيت لحم: «لأنه مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ» لا ينطبق على **زَرُبابل**، الذي لم يُولد في اليهودية، بل في بابل التي استمد منها اسمه «**زرع بابل**»، ولِمَ لا وقد استمد أصوله وجذوره منها؟ وبالإضافة إلى كل ما قيل، كان الوقت الذي انقضى كافيًا لترسيخ شهادة الأنبياء. فماذا يقول أيضًا؟: «لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا». ثم يُضيف سبب علوّ مكانة بيت لحم قائلًا: «لأنه مِنْكِ يَخْرُجُ». والحقيقة أنَّه ما من شخصٍ آخر غيره جعل لبيت لحم هذه المكانة وتلك الرِفعة. فعلى سبيل المثال، منذ ذلك الميلاد لا يزال الزائرون يأتون من جميع أنحاء العالم ليشاهدوا المذود ومكان الحظيرة، وهو ما تنبَّأ به **ميخا النبي** من قبل، عندما صاح قائلًا: «لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا»، أي أنَّ بيت لحم ليست أقل شأنًا بين جميع عشائر يهوذا، بما في ذلك أورشليم نفسها. غير أنَّ اليهود لم يهتموا بذلك، على الرغم مما يحمله لهم من بشرى وامتياز. ولهذا السبب، نرى أنَّ النبوات لا تُركِّز في البداية على مقدار كرامة المولود، بقدر ما تؤكِّد على الامتيازات التي تحقَّقت للشعب والمكان بسبب ولادته.

وهكذا عندما كانت العذراء على وشك الولادة، جاء الملاك وقال لها: «وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ.» (مت١:٢١)، ثم يذكر السبب قائلًا: «لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ» (مت١:٢١). وكذلك المجوس أيضًا لم نسمعهم يقولون: «**أين هو ابن الله؟**» بل قالوا «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» (مت٢:٢) لاحظ أيضًا أنَّ النبوة لم تقل: «**لأنَّه يخرج منكِ ابن الله**» بل «مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ». لأنَّه كان من الضروري أن يبدأ الحديث مع الشعب أولًا، وأنْ يكون الحديث بلهجة شديدة التواضع، لئلا يشعروا بالإهانة. وكان من اللَّازم الحديث عن الأمور المُختصَّة بخلاصهم، لعل ذلك يُسهِّل من إمكانية اجتذابهم.

وعلى أيَّة حال، فإنَّ جميع النبوات التي ذُكِرَت سابقًا، والتي قد تحقَّقت بالميلاد، لا تذكر شيئًا عن علو مكانة الصبي أو ورفعة شأنه، وذلك على العكس من الشهادات التي وردت بعد حدوث جميع المعجزات التالية للميلاد. فالنبوات السابقة للميلاد تُركِّز على الشعب وما له من امتيازات، والشهادات التالية للميلاد تُركِّز على مكانة ورفعة المولود. فالأطفال على سبيل المثال، بعدما سمعوا عن كل ما حدث من معجزات، إذا بهم يُزمِّرون له ويُسبِّحون إيَّاه مُتَّبعين قول النبي: «من أفواه الأطفال والرضَّع أسست سُبحًا» (مز٨:٢)، ويقول النبي أيضًا: «السموات تُحدِّث بمجد الله والفلك يُخبِر بعمل يديه» (مز١٩:١)، وهي كلمات تُؤكِّد على كونه الخالق الوحيد للكون كله. ثم أنَّ النبوة التي تحدَّثت عنه بعد الصعود تُؤكِّد على مساواته للآب، حيث تقول: «قال الرب لربي اجلس عن يميني» (مز١١٠:١)، وإشعياء نفسه يقول: «القائم ليسود على الأمم عليه سيكون رجاء الأمم» (رو١٥:١٢).

ولكن كيف يقول النبي مُخاطِبًا بيت لحم: «لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا»؟ بينما قرية بيت لحم صارت معروفة في العالم أجمع وليس في فلسطين فقط؟ ولماذا يُضيف النبي قائلًا: «يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ» بينما هو قد أحاط العالم كله بالرعاية، وليس شعب إسرائيل وحده؟ فكما قُلتُ من قبل، إنَّ الوحي لم يرغب في إغاظة اليهود من خلال الحديث عما يعتزم الله قوله وفعله مع الأمم.

ولكن كيف لأحد أن يقول أنَّ الله لم يرعَ شعب إسرائيل؟ فأنا أبادر إلى الإجابة قائلًا: إنَّ رعاية الله لشعب إسرائيل قد تحقَّقت بالفعل. فاستخدام لفظة «إسرائيل» في هذا الموضع هو استخدام مجازي، يُشير إلى مَنْ آمنوا به من بين اليهود جميعهم. ولعل هذا هو ما يُفسِّره بولس الرسول بقوله: «لأَنْ لَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ» (رو٩:٦)، بل كل الذين وُلِدوا بالإيمان والموعد. وإنْ لم يكن قد رعاهم جميعًا، فإن الخطأ خطؤهم، واللوم يقع عليهم لا عليه. لأنَّه بينما كان يتعيَّن عليهم السجود له مع المجوس، وتقديم المجد لله لأنَّ الوقت قد حان إذ قد جاء المسيح، وبدلًا من أن يتخلُّوا عن جميع خطاياهم إذ لم تَرِدْ إليهم كلمة واحدة عن الدينونة أو الحساب، بل عن مجيء راعٍ وديع ولطيف، بدلًا من أنْ يفعلوا ذلك،

إذا بهم يتصرفون على عكس ما هو مُتوقَّع تمامًا، فيرتبكون ويضطربون، ولا يَكفُّون عن نسج الحيل والمؤامرات دون تَوقُّف.

هيرودوس الماكر وحماقته:

٣) «حِينَئِذٍ دَعَا هِيرُودُسُ الْمَجُوسَ سِرًّا، وَتَحَقَّقَ مِنْهُمْ زَمَانَ النَّجْمِ الَّذِي ظَهَرَ.» (مت٢:٧).

كان هيرودس يحاول قتل الصبي الذي وُلِدَ عَلى الرغم من أنَّ ما قيل وما حدث أمامه كان كافيًا لمنعه من التمادي في هذه المحاولة. فلم تكن كل هذه الأحداث بطرق بشرية. ألم يفهم أن كل هذه الأحداث لم تكن بشرية أو عادية؟ نجمٌ يدعو المجوس من العلاء ... وأمميون يَتحمَّلون مَشقَّة هذا السفر البعيد لكي يسجدوا لطفل ملفوف في أقمطة وموضوع في مذود ... وأنبياء تكلَّموا وأعلنوا عن مجيئه منذ القِدَم! لقد سمع هيرودس بهذه الأمور جميعها، بل وغيرها أكثر بكثير مما يُمكِن أنْ يحدث بين البشر، ومع ذلك لم يَرتَدِعْهُ أيٌّ منها. فإنَّ هذا الجنون هو شرٌّ في حدِّ ذاته، وهو شرٌّ يسعى دائمًا نحو كل ما هو مستحيل. تأمَّل في **حماقة هذا الرجل**. فإذا افترضنا من ناحية أنَّه كان يُؤمِن بالنبوة ويُصدِّقها، وبالتالي أنَّه كان مُقتنِعًا بعدم إمكانية تَغيُّرها أو تغييرها، فمعنى ذلك أنَّه كان يسعى وراء المستحيل. أمَّا إذا افترضنا أنَّه لم يكن مُقتنِعًا بالنُّبُوَّة، وأنَّه لم يتوقَّع مُطلَقًا أن تتحقَّق تلك الأحداث، فعندئذ لا يكون هناك أي داعٍ لخوفه وانزعاجه، ولِمَا أَقدَم على نسج أيَّة مؤامرة لِلتخلُّص من المولود. من هنا يَتضِّح لنا أنَّ جميع أعماله كانت في غير محلها.

كذلك فقد كان من فرط حماقته يعتقد أنَّ المجوس سوف يَهتَّمون به أكثر مما يهتَّمون بالصبي المولود، ذلك الصبي الذي قطعوا من أجله وحده كل هذه الرحلة الطويلة. فإن كان المجوس قد التهبوا بالشوق إليه قبل أنْ يروه، فكم وكم تكون مشاعرهم بعد أن رأوه بعيونهم، وبعد أن تأكَّدوا من شخصه بشهادة النبوة؟ كيف إذن كان هيرودس يأمل في إقناعهم بأن يُسلِّموا الصبي المولود إلى يده الغاشمة؟

ومع ذلك، وعلى الرغم من جميع الأسباب التي كانت يجب أن تمنعه من التفكير في هذا العمل، إلَّا أنَّه أخذ يسعى ويحاول، «فاستدعى المجوس سرًا وتحقَّق منهم زمان النجم»، اعتقادًا منه أنَّ اليهود سيكونون أكثر حرصًا على الصبي. ولذلك فإنه لم يتوقع مُطلَقًا أنْ يكون اليهود أنفسهم أغبياء إلى الحد الذي يجعلهم على استعداد لتسليم مُخلِّصهم إلى يد أعدائه، أو أنْ يتآمروا ضد المُخلِّص الذي جاء ليعطي الخلاص لأمتهم. ومن هذا المُنطَلق، فقد قام هيرودس باستدعاء المجوس سرًا، وسألهم عن الزمان، ليس زمان ميلاد الصبي، بل زمان النجم. وهو بذلك رَكَّز على الهدف الذي كان يسعى وراءه أي زمان النجم ، لكي يَصِلَ من خلاله إلى ما هو أبعد من ذلك أي زمان ميلاد الصبي. لأنني أعتقد أنَّ النجم قد ظهر قبل ذلك بزمنٍ طويل، أي أنَّ المجوس أمضوا زمَنًا طويلًا في رحلتهم إلى أرض فلسطين. ولكي يظهر المجوس بعد ولادة الصبي مباشرة، حيث كان من اللائق أن يُقدَّم السجود للصبي وهو بعد مُقمَّطًا، وكان من اللائق أيضًا أن تتحقَّق جميع هذه الأحداث الفائقة للطبيعة، لذا فقد كان يجب أنْ يتراءى النجم قبل ميلاد الصبي بوقت طويل. لأنَّه لو كان النجم قد ظهر للمجوس لحظة ميلاد الصبي في فلسطين وليس قبل ذلك، لمَا استطاعوا أنْ يروا النجم في بلادهم البعيدة في المشرق، ثم يقطعون تلك الرحلة الطويلة وما تستغرقه من وقت كثير، ومع ذلك يَصِلون في الوقت المناسب لكي يروا الصبي وهو لا يزال رضيعًا مُقمَّطًا. أمَّا عن ذبْحَ هيرودس للأطفال من سن عامين فما دون، فليس هناك ما يدعو إلى العجب؛ لأن غضبه وخوفه ورغبته في التأمين الكامل لعرشه جعله يُبالِغ كثيرًا في عمر الأطفال، حتى لا يفلت أحد منهم.

وبعد أنْ استدعى هيرودس المجوس، قال لهم:

«ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ، وَقَالَ:«اذْهَبُوا وَافْحَصُوا بِالتَّدْقِيقِ عَنِ الصَّبِيِّ. وَمَتَى وَجَدْتُمُوهُ فَأَخْبِرُونِي، لِكَيْ آتِيَ أَنَا أَيْضًا وَأَسْجُدَ لَهُ». (مت ٢: ٨).

هل اتضَّحت لك حماقته الشديدة؟ فلو كان هيرودس صادقًا ومُخلِصًا فيما يقوله، فلماذا يسألهم سرًا إلَّا إذا كان عازمًا على التآمر ضد الصبي المولود؟ وكيف لم يفهم أن سؤاله للمجوس سرًا سيجعلهم يُدرِكون قصده الماكر؟ ولكنني قد أجبت على مثل هذه التساؤلات من قبل: إنَّ النفس التي وقعت في أسر الخطية والشرّ تصير نفسًا غير عاقلة أكثر من كونها أي شيء آخر.

كذلك لم يَقُلْ هيرودس للمجوس «**اذهبوا واستعلموا عن المَلِك**» بل «**عن الصبي**». أي أنَّ هيرودس لم يكن يتحمَّل مجرد مناداته أو تسميته للمولود بالألفاظ المُعبِّرة عما له من سلطان.

٤) غير أنَّ المجوس لم يفهموا ذلك بسبب فَرْط خشيتهم من هيرودس، لأنَّه لم يكن قد خطر ببالهم أنْ يكون الملك قد أمعَن في الشرّ إلى هذا الحد، أو أنَّه يسعى إلى نسج المؤامرات ضد هذا التدبير الإلهي الإعجازي. لقد غادروا المكان لأنهم لم يشعروا بالراحة إذ أحسوا داخل نفوسهم بما يمكن أن يفعله البشر والطبيعة البشرية.

النجم العجيب

«وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ» (مت ٢: ٩).

لقد كان النجم مُختبِئًا برهة وجيزة، حتى إذا ما وجد المجوس أنفسهم بلا مُرشِد، يضطرون إلى الاستفهام من اليهود، ومن ثَمَّ يتم الإعلان عن الميلاد للجميع. أمَّا الآن، وبعد أن استفسر المجوس عن مكان ولادة الصبي، وحصلوا على المعلومات التي كانوا يحتاجونها من أعدائه، إذا بالنجم يعاود ظهوره من جديد. ثم تأمَّل معي في عظمة ترتيب الأحداث. فهُمْ في بادئ الأمر شاهدوا النجم، ثم تقابلوا مع اليهود، ثم الملك، ثم أدَّى بهم ذلك إلى التعرُّف على النبوة التي فسَّرت أمر النجم الذي ظهر لهم في المشرق. وها هم يرتحلون في سفر قصير من أورشليم إلى بيت لحم في ظل إرشاد النجم ... نفس

النجم الذي سافر معهم تلك المسافة البعيدة من بلاد المشرق. لعلَّك الآن قد تأكَّدت أنَّ هذا النجم لم يكن نجمًا عاديًا، لأنَّنا لا نعرف نجمًا آخر يعمل هكذا، أو له مثل هذه الطبيعة. ثم أنَّ النجم لم يكن يتحرَّك فقط بل «كان يتقدَّمهم» أي يُرشِدهم ويقودهم في وَضَح النهار.

وقد يتساءل أحد قائلًا: «ولكن ما حاجتهم بعد إلى النجم بعد أن تأكَّدوا من المكان؟» لقد كان القصد من ذلك أن يقتادهم النجم إلى رؤية الصبي وليس مجرد المكان، إذ لم يكن هناك ما يُظهِره لهم، وخصوصًا أنَّ البيت لم يكن ظاهرًا، ولم تكن أمه من المشاهير أو حتى المعروفين. لذلك كانت الحاجة تقتضي أنْ يأخذهم النجم ويَصِل بهم إلى ذلك المكان مباشرَة. هذا إذن هو سبب ظهور النجم للمجوس مرة أخرى وسيره معهم من أورشليم إلى بيت لحم، وعدم توقُّفه قبل وصوله بهم إلى موضع المذود.

وجاءت المعجزة تلو الأخرى؛ لأنَّ الأمرين كانا غريبين ومعجزين: سجود المجوس للصبي، ومُضي النجم قدَّامهم. وهما أمران يكفيان للتأثير في الحجارة، فما بالك في البشر. فلو كان المجوس قد قالوا أنهم سمعوا أنبياء يتحدَّثون عن تلك الأمور، أو أنَّ ملائكة تحدثوا معهم في الخفاء، لما صدَّقهم أحد. ولكن الآن، لمَّا ظهر النجم في العلاء، سُدَّت أفواه المُتبجِّحين الذين لا يخجلون.

الأكثر من ذلك هو أنَّ النجم توقَّف عن مسيره عندما استقر فوق الصبي، وهذا أيضًا أمرٌ يفوق قوة وقدرة النجوم. فهذا النجم يختبئ تارَة، ويظهر تارَة أخرى، يسير تارَة، ويتوقَّف تارَة أخرى، من هنا ازداد المجوس إيمانًا كما أنَّهم ابتهجوا لكونهم وجدوا ما كان يبحثون عنه، ولكونهم صاروا رُسلًا للحقّ. ولِما لا يفرحون وهم يرون أن رحلتهم الطويلة لم تكن بلا ثمر. لقد أشبع الله أشواق قلوبهم الحارة بلقاء المسيح المولود. فلقد جاء النجم أولًا ووقف فوق رأس الصبي، مُظهِرًا أنَّه **مولود إلهي**. ثم أنَّ توقُّف النجم في هذا الموضع تحديدًا كان بمثابة دعوى للمجوس لكي يسجدوا للمولود. والمجوس في هذه الحالة ليسوا مجرد أمميين، بل أكثر الناس حكمة في بلادهم.

لعلَّك الآن قد تعرَّفت على مَقدِرة النجم وروعته فالمجوس بعد ما سمعوا النبوة وتفسيرها من رؤساء الكهنة والكتبة، ظلَّت عقولهم مُتعلِّقة بالنجم.

معاندو الإعلان

٥) عارٌ عليك يا مركيون! عارٌ عليك يا بولس الساموساطي!

لكونكما رفضتما رؤية ما رآه **هؤلاء المجوس** الذين سبقوا **آباء الكنيسة**. نعم أنني لا أخجل من أن أدعوهم سابقين لآباء الكنيسة. فليخجل **ماركيون** لأنه رأى المجوس يسجدون **لله الظاهر في الجسد**. وليخجل **بولس الساموساطي** إذ رآهم يسجدون له ليس كمجرد إنسان. فمن جهة تجسُّده، كانت العلامة الأولى هي الأقمطة والمذود. وأما من حيث سجودهم له ليس كمجرد إنسان، فلقد أعلنوا عن ذلك عندما قدَّموا له في هذه السن المبكرة تلك الهدايا التي لا تليق **إلا بالله وحده**. وليخجل اليهود معهما أيضًا، إذ قد سبقهم الأمميون والمجوس، ولم يعد لهم إلَّا أن يكونوا مجرد تابعين. فالذي حدث آنذاك كان نموذجًا من الأمور المُزمِع أن تتحقَّق مُستقبَلًا، وظهر منذ البداية أنَّ الأمم سوف يسبقون الأمة اليهودية في الإيمان.

ولكن قد يتساءل أحد قائلًا: «لماذا تأخَّر قول الرب اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» (مت ٢٨: ١٩)؟ ولماذا لم يأتِ هذا الأمر منذ البداية، أي منذ مجيء المجوس؟"

السبب في ذلك هو أنَّ ما حدث كان مثالًا – كما قلت سابقًا – للأمور المُزمِعة أنْ تحدث مُستقبَلًا، ونوع من الإعلان عنه مُسبقًا. فقد كان الترتيب الطبيعي أنْ يأتي اليهود إلى المسيح أولًا. ولكن هم أنفسهم وبمحض اختيارهم الشخصي تخلَّوا عن امتيازهم، وبذلك انقلب نظام وترتيب الأمور. لأنَّه لم يكن من اللائق حتى في هذه المرة أنْ يسبق المجوس اليهود، ولا أنْ يصل إليه أناس جاءوا من مسافة بعيدة قبل أولئك الساكنين معه في نفس المدينة. ولم يكن من اللائق لأناسٍ لم يسمعوا نبوة واحدة أن يتخطَّوا اليهود الذين تغذَّوا على العديد منها.

ولكن، لمَّا كان اليهود يجهلون ما لديهم من نِعَم، سمح الله للمجوس القادمين من بلاد فارس أن يسبقوا الساكنين في أورشليم. ولعلَّ هذا هو ما يقصده بولس الرسول بقوله: «كَانَ يَجِبُ أَنْ تُكَلَّمُوا أَنْتُمْ أَوَّلاً بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلكِنْ إِذْ دَفَعْتُمُوهَا عَنْكُمْ، وَحَكَمْتُمْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُسْتَحِقِّينَ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، هُوَذَا نَتَوَجَّهُ إِلَى الأُمَمِ.» (أع ١٣: ٤٦). فمع أنَّهم أخطأوا إذ لم يطيعوا الكلمة قبلًا، إلَّا أنَّه كان عليهم أن يُسرِعوا إلى الإيمان عندما سمعوا بالكلمة من المجوس، ولكنهم لم يسمعوا. وهكذا، بينما يتغافل اليهود، **يركض الأمم وراء الإيمان بالمسيح**.

على خُطى المجوس

٦) والآن دعنا نتبع المجوس مرة أخرى، ولنتحرَّر من عاداتنا العالمية، ولنبتعِد عنها بعيدًا، لعلنا نرى المسيح. لأنه لو لم يكن المجوس قد نظروا من بلادهم البعيدة جدًا، لما كانوا قد أبصروه. دعنا

نبتعد عن الأمور الأرضية. فالمجوس عندما كانوا في فارس، لم يروا إلَّا النجم، ولكنهم بعد أن ارتحلوا من بلادهم، إذا بهم يشاهدون شمس البر. أو قُلْ بالحري أنَّه ما كان لهم أن يروا أكثر من النجم، لو لم يكونوا مستعدين للنهوض ومتابعة المسير. فلننهَض نحن أيضًا، مهما اضطرب الجميع، دعنا نركض إلى موضع الطفل الرضيع. مهما حاول الملوك والطغاة والأمم أنْ يعترضوا طريقنا، لن نسمح لأشواقنا أنْ تَخمُد. بل سوف ندفع بعيدًا عنَّا جميع الأخطار التي تحاصرنا لأن الجميع أيضًا لم يقدروا على الهروب من خطر هيرودس، إلَّا الذين رأوا وجه الطفل الرضيع.

والمجوس أنفسهم قبل أن يشاهدوا الصبي، كانت المخاوف والأخطار والاضطرابات تضغط عليهم من كل جانب. ولكنهم بعد أن سجدوا له، امتلأت قلوبهم بالأمان والسكينة. ولم يعد نجمٌ هو الذي يتقدَّمهم، بل ملاك. بل إنَّهم صاروا كهنة من حيث ممارستهم لطقس السجود، وفيما قدَّموه من هدايا.

هل تأتي معي أنت أيضًا تاركًا الأمة اليهودية والمدينة المُضطربة، وهيرودس الطاغية المُتعطِّش إلى الدماء، وبريق هذا العالم؟ هل تترك كل هذا وُتسرِع معي إلى بيت لحم، إلى مسكن الخبز الروحي؟ فإن كنت مجرد راعٍ بسيط وأتيت إلى هنا، فسوف ترى الصبي في مذوده. ولو كنتَ مَلِكًا ولم تقترب إلى هُهنا، فلن ينفعك رداؤك الأرجواني. وإن كنت أحد المجوس الغرباء، فلن يمنعك ذلك من الاقتراب. فقط اجعل قصدك من المجيء هو أن تُقَدِّم الكرامة والسجود لابن الله، بدلًا من أن ترفضه وتزدريه. وليكن مجيئك إليه بفرح ورعدة، لأنه من الممكن أن يتزامَن الشعوران.

ولكن احترس لئلا تكون مثل هيرودس وتقول في قلبك: «لِكَيْ آتِيَ أَنَا أَيْضًا وَأَسْجُدَ لَهُ»، ثم إذا بك تسعى إلى ذبحه. فكل الذين يتناولون من الأسرار بدون استحقاق يتشبَّهون بهيرودس، ويقول عنهم الكتاب: ... «إِذًا أَيُّ مَنْ أَكَلَ هذَا الْخُبْزَ، أَوْ شَرِبَ كَأْسَ الرَّبِّ، بِدُونِ اسْتِحْقَاق، يَكُونُ مُجْرِمًا فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ.» (١كو ١١: ٢٧). فداخل كل واحد منهم يُوجَد هيرودس جديد يحزن لتأسيس ملكوت المسيح، أشرّ من هيرودس القديم العابد للمال. فهيرودس القديم لم يهتَمّ إلَّا بسلطانه، إذ أرسَل رعيته لتقديم السجود والولاء الظاهرين. وفي الوقت الذي يسجدون فيه، ينهال عليهم ذبحًا وقتلًا. فلنخف إذن لئلا يكون لنا مظهر التوسُّل والعبادة، بينما تكون قلوبنا على العكس تمامًا.

ولنُلْقِ كل ما في أيدينا عندما نسجد له. وحتى لو كان ما في أيدينا ذهبًا، دعنا نُقدِّمه له بدلًا من أن ندفنه. فإذا كان أولئك المجوس قد أعطوه المجد والإكرام، فكيف يكون حالك أنت يا من لا تعطيه ما يطلبه منك؟ إذا كان أولئك المجوس قد جاءوا من بعيد لكي يروه بعد ولادته مباشرَة، فما العذر الذي ستقدِّمه أنت لعدم تخليك عن طريقك مرة واحدة لكي تزوره وهو مريض أو محبوس؟ بل إنَّك قد تشفق على أعدائك أنفسهم عندما يكونون مرضى أو أسرى، فلماذا تبخل بالإشفاق على ربِّك الذي أنعم عليك؟ هم قدَّموا له ذهبًا، وأنت لم تُقدِّم خبزًا. هم رأوا النجم وابتهجوا، وأنت ترى المسيح نفسه غريبًا وعريانًا، ولكنك لا تتأثر.

لأنَّه مَنْ منكم يا من حصلتم على نِعَمه التي لا تُعَدُّ يستطيع أن يتحمَّل من أجل المسيح عناء هذه الرحلة البعيدة كما تحمَّلها أولئك المجوس، الذين هم أحكم الحكماء بين الفلاسفة. ولماذا أقول رحلة بعيدة جدًا، بينما نساء كثيرات لديهنَّ من الرقة ما يجعلهن لا يرغبن في عبور شارع واحد ليرونه في مذوده الروحي (أي الكنيسة)، إلَّا إذا حملتهنَّ المركبات التي تجرها البغال. وآخرون يقوون على السير، ولكنهم يفضِّلون البقاء في مواضعهم لمتابعة عمل ما أو تجارة ما أو مشاهدة مسرحية ما. وبينما قطع أولئك المجوس رحلة طويلة هكذا من أجله قبل أن يروه، فلماذا لا تحاول أنت التشبُّه بهم بعد أن رأيته، بل تتركه، وتجري بعيدًا، لكي ترى المُمَثِّلين. وأنت بعدما رأيت المسيح نائمًا في مذوده، إذا بك تتركه وتذهب لمشاهدة النساء على المسرح.

وصايا عملية

٧) حدِّثني مثلًا إذا أمكن لأي إنسان أنْ يقتادك إلى داخل أحد القصور، ويُريك الملك على عرشه، هل تُفضِّل في هذه الحالة أنْ تذهب لمشاهدة المسرح بدلًا من التَطلُّع إلى ما يذخر به القصر الملكي من أشياء؟ بل وحتى الأشياء الموجودة داخل القصر الملكي ليست ذات قيمة مقارنةً بما هو موجود هُهنا في الكنيسة، حيث تجد نبعًا روحيًا من النيران التي تتدفق من مائدة الرب، ومع ذلك فإنَّك تتركها وتهرول إلى المسارح لرؤية النساء وهن يَسبَحنَ. وهكذا تنحط طبيعة الإنسان بالخزي، تاركة السيد المسيح وحده جالسًا عند البئر.

نعم فهو الآن أيضًا، وكما كان قبلًا، لا يزال يجلس عند البئر، لا ليتكلَّم مع المرأة السامرية بل إلى مدينة بأسرها أو ربما تراه يجلس مُتحدِّثًا مع امرأة سامرية لوحدها. فإنَّك الآن لا تجد أحدًا معه: البعض ذهبوا وراء أجسادهم، والبعض الآخر ذهبوا إلى ما هو أبعد من ذلك. غير أنَّه لا يبتعد مطلقًا، بل يبقى يسأل عنَّا، لكي يسقينا

قداسةً لا ماءً، قائلًا إنَّ «القُدسات للقديسين». فهو لا يعطينا ماءً من هذا النبع، بل دمًا حيًا، ومع أن الدم في الأصل هو **رمز للموت**، إلَّا أنَّه قد أصبح **سببًا للحياة**.

ولكنك يا مَنْ تترك نبع الدم والكأس المخوفة، ويا مَنْ تذهب في طريقك وراء نبع الشيطان لمشاهدة امرأة وهي تَسبَح في مسرحية مُمَثِّلة، فإنك تسعى إلى إغراق سفينة نفسك وتحطيمها. فإنَّ هذا الماء هو بحر الشهوات، وهو لا يُغرِق الأجساد، بل يُحطِّم النفوس. وبينما تَسبح النساء بأجسادهن العارية، يَغرَق المشاهدون في لُجَج الشهوة والخطيئة. لأن هذه هي **شبكة الشيطان**. وهي شبكة لا تؤدِّي إلى إغراق من ينزلون في الماء فقط، بل أيضًا الذين يجلسون من فوق ويشاهدون، الذين هم في حال أخطر ممن يتمرَّغون في الوحل وهي تُغرِق وَتُخنِقُ كل من يتعرَّض لها غرقًا أكثر خطورة مما حدث لفرعون الذي غرق مع جميع خيوله ومركباته. ولو كان بالإمكان رؤية النفوس، لكنت قد أريتكم العديد منها وهي تطفو فوق سطح مياه الخطيئة، كأجساد المصريين في ذلك الزمان.

غير أنَّ الأمر المُؤسِف حقًا هو أنَّهم يدعون هذا التدمير الكامل للنفوس سعادةً وسرورًا، ويعتبرون بحر الهلاك وسيلة للمتعة واللذة. والواقع المُؤكَّد هو أنَّ الإنسان قد يأمن على نفسه أن يجتاز البحار الهائجة، أيسر من أن يتطلَّع لمثل هذه المشاهد. فبادئ ذي بدء، يسارع الشيطان إلى الاستحواذ على نفوسهم طوال ليلة كاملة بتخيُّلهم لما سيشاهدونه على المسرح، ثم بعد أن يُريهم ما توقَّعوه وتخيَّلوه، إذا به يُعجِّل بتقييدهم، فيجعلهم أسرى. فلا تظن بأنَّك بريء أو خالٍ من الخطيئة لأنك لم تتصل بالزانية، حيث أنَّ مجرد وجود الغرض داخل قلبك يعني أنك قد فعلت كل شيء.

وإذا تملَّكتك الشهوة، تكون قد أضرمت النيران إلى أعلى وأعلى. أما إذا كنت لا تشعر أو تتأثر بأي شيء مما تراه، فإنك تستحق عقابًا أشد، لأنك صرت مُحرِّضًا للآخرين، إذ تشجِّعهم على مشاهدة مثل هذه المناظر، ولأنَّك تُدنِّس بصرك ونفسك معًا... صحيح أن مدينتنا قد تُوِّجَت قبلًا بتسمية أهلها بالمسيحيين، إلَّا أنَّ أهلها أصبحوا لا يخجلون من أنْ يحتَّلوا مراتب متأخرة جدًا في التسابق نحو العِفة والطهارة، أو أنْ تسبقهم في ذلك أحقر المدن وأحطُّها.

٨) ولكن قد يقول قائل: «حسنًا! فما هو طلبك منَّا؟ أنْ نسكن الجبال ونعيش كالرهبان؟» إن مثل هذا الكلام هو ما يجعلني أتنهد، أنَّكم تظنون أنَّ المعنيين بالحشمة والطهارة هم الرهبان وحدهم، بينما المؤكد هو أنَّ السيد المسيح جعل وصاياه للجميع ... «وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ.» (مت ٥: ٢٨)، فإنَّه لا يتكلَّم إلى غير المُتزوِّجين، بل أيضًا للمُتزوِّجين.

فالحقيقة هي أنَّ حبل الموعظة كان في ذلك الوقت ممتلئًا بجميع أنواع وأشكال البشر. ضَعْ إذن في عقلك صورة لذلك المسرح وحاول أن تكرهها لأنها **صورة للشيطان**. كذلك لا تتَّهمني بالقسوة في كلامي، فأنا لا أمنع أحدًا عن الزواج، ولا أحول بين أحد وسعادته أو متعته، فقط أريد أن يتمَّ كل شيء بطهارة دون أن يجلب علينا العار أو التعيير، أو نقع تحت حساب لا ينتهي. إنَّني لا أضع قانونًا أمام أحد أنْ يسكن الجبال والبراري، بل أنْ يسلك حسنًا ويراعي الطهارة، حتى لو كان يسلك في قلب المدينة. والرهبان أنفسهم خاضعون لكل ما عندنا من قوانين، فيما عدا الزواج بالطبع. ففي أمر الطهارة يأمرنا بولس الرسول بأن نضع أنفسنا جميعًا في مستوى واحد، قائلًا: «لأَنَّ هَيْئَةَ هذَا الْعَالَمِ تَزُولُ.» (١كو٧: ٣١)، ولذلك يجب أنَّ «الَّذِينَ لَهُمْ نِسَاءٌ كَأَنْ لَيْسَ لَهُمْ» (١كو٧: ٢٩).

ولذلك فأنا لا أطالبكم بالسكن في أعالي الجبال. صحيح أنَّني أتمنى ذلك، **لأن المدن الآن تتشبَّه بما كان يحدث قديمًا في سدوم**. ولكنني لا أمركم بذلك. بل عيشوا، وليكن لكل منكم بيت وزوجة وأطفال. فقط لا تهين امرأتك، ولا تجعل أطفالك محلًا للخزي، ولا تجلب إلى بيتك العدوى من المسرح. ألَا تسمع بولس الرسول يقول: «لَيْسَ لِلْمَرْأَةِ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَدِهَا، بَلْ لِلرَّجُلِ. وَكَذلِكَ الرَّجُلُ أَيْضًا لَيْسَ لَهُ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَدِهِ، بَلْ لِلْمَرْأَةِ.» (١كو٧: ٤). ألا تعلم أن هذه القوانين موضوعة للجميع، الرجل والمرأة على حدٍ سواء؟ لماذا تتشدَّد في لوم زوجتك إذا تكرَّر ظهورها في الاجتماعات والمحافل العامة؟

ومع ذلك تسمح لنفسك بالبقاء أيامًا كاملة في العروض المسرحية العامة، دون أن تَحسِب نفسك مُستحِقًا لِلَّوم. وعندما يتعلَّق الأمر باحتشام امرأتك، تصبح أنت متشدِّدًا أكثر مما تحتمه الضرورة والعُرْف...

الآن ولحين أن ألتقي بكم ثانيةً، سأنتهي من حديثي معكم حتى لا أُثقِل عليكم. ولكن إنِ استمرت أفعالكم هكذا، سأجعل السكين أكثر حِدَّة، والجرح أعمق. ولن أتوقف عن هذا حتى أُحطِّم **مسرح الشيطان**، **وأُنقِّي الكنيسة**، إذ أنه هكذا سنتخلَّص من هذا العار القائم، ونحصد ثمر الحياة الآتية بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح من نحو الإنسان، هذا الذي له المجد والإكرام من الآن وإلى الأبد. آمين

إنّه لم يَقُم في مواليد النساء أعظم ✝ من يوحنا المعمدان ✝

عظة للقديس يوحنا الذهبي الفم

إنَّ شرف الفضيلة عظيمٌ وشأنها جليلٌ. لأنها ترفع مُحِبَّهَا إلى السماءِ وتُشبِّهُهُ بالملائكة وتمجّده في المحافل وتنقله إلى أماكن النعيم وتؤهّله لمديح سيّدِه **كيوحنا المعمدان**. لانَّ **يوحنا** لشرف فضيلته استحقَّ قول السيّد المسيح انَّهُ لم يَقُم في مواليد النساءِ اعظم منهُ. فاذا كان هذا الذي تربَّى في القفار، واستأنس بالوحوش البريّة ولم يسمع نبيًّا، ولا مُبَشِّرًا ولا سمع بعابدٍ، ولا بمتقشِّف اظهَرَ طرائق الابرار واصلَحَ مسالك الفائزين، فالذين يسمعون العظات وَيُنَبَّهُون بالتعاليم الإلهية ويقتدون بالشريعة الفاضلة، وهم مع ذلك متغافلون كيف لا يُعاقَبون. ومع أنّه لا يُثَقَّل عليهم بطلب شيءٍ اكثر من الواجب عليهم نراهم يتضجَّرون من الحقوق الواجبة ويُعرِضُون عن الفرائض اللازمة ويتمسَّكون بالاباطيل الزائلة وينهمكون في محبة اللذّات الفانية. حتَّى ادَّاهم ذلك الى اهمال الحقوق الواجبة والسُّنَن المندوب اليها. وإذا كان الذين يجب عليهم الخراج لملوك الأرض اذا اهملوا تقديمهُ يضيَّق عليهم ويُسجَنُون، فكيف لا نُعاقَب نحن اذا اهملنا القيام بما يجب علينا من حقوق الله. فان قلت ما هي الحقوق اللازمة لنا والمفروضة علينا. اجبتك انها هي العشور والابكار والنذور والباكورة من الثمر والزرع وربح المتاجر واشباه ذلك بمَوجِب قولهِ تعالى في التوراة «افرزوا عشورًا من كل غلاتكم وزراعاتكم مما تغلُّ ارضكم ككل سنةٍ لله ربكم».

وكل بكرٍ يولد من الناس الى البهائِم فانهُ لي يقول الربُّ. ويقول على لسان **ملاخيا النبي** موبخًا بني اسرائيل هكذا : «وأما انتم يا بني يعقوب فلم تتوبوا عن إثْمِكُم. ومنذ أيام آبائكم الى الآن انتم تميلون عن وصاياي ولم تُطيعوا اقوالي ولم تعملوا بها كما يجب. اقتربوا مني لاقترب منكم. وان قلتم بماذا نُقبل اليك. قلتُ هل انتم تظلمون الالهة الغريبة كما تظلمونني يقول الرب. وان قلتم بماذا ظلمناك. قلتُ بالعشور والابكار لانكم تلعنون بافواهكم واياي تطلبون. يا جميع الشعوب اهدوا العشور الى أهرائي لتصير طعامًا في خزائني وجرّبوني، في هذه يقول الربّ القادر: لأَفتَحَ لكم طاقاتٍ في السماء واصبَّ عليكم الارزاق صبًّا حتى تقولوا كفانا كفانا. وانهي الدودة ان لا تُفسد اثمار ارضكم ولا تُتلف شيئًا من كرومكم ويمدحكم جميع الشعوب».

ويقول الانجيل المقدَّس لمشايخ اليهود: «الويل لكم ايّها الكتبة والفريّسيون المراؤون لانكم تعشّرون النعنع والسُبت والكمون وتتركون عظائِم الناموس التي هي الحكم والرحمة والإيمان. قد كان ينبغي لكم ان تعملوا هذه ولا ترفضوا تلك». ومعناهُ انكم تتظاهرون باخراج العشور والقيام بالحقوق الواجبة فتعشّرون الاشياء الدنيّة التي لا ثمن لها كالنعنع والسُبت والكمون لتتظاهروا للناس بذلك، وتهملون عشور الاشياء النفيسة. ومع هذه الخصال الذميمة تُعرضون عن الحكم والرحمة والايمان وقد كان يجب عليكم ان تفعلوا الامرين جميعًا.

ويقول الربّ مخاطبًا هرون وبنيه: «أنّ كل بواكير الزيت وبواكير الخمر وبواكير الحنطة واوائل كل الثمرات وكل مُحرَّمٍ لله وكل بكرٍ من الناس الى البهائِم قد جعلتها لك ولبنيك ولعشيرتك».

وقيل في القوانين المقدسة: وبواكير ثمرات الارض من كانت له فليذهب بها الى الكنيسة، واوائل البيادر واوائل اللبن واوائل العسل واوائل الصوف واوائل عمل كل انسانٍ. ومعنى هذا من كانت لهُ بساتين او كروم او زروع فاول ما يجني من ثمراتها كل سنة يقدّمه هديةً لله ربّهِ، وتُصلّي عليها الكهنة لتكثر خيراتهُ وتتضاعف الارزاق عندهُ ويأكل منها الذين يخدمون بيت الله ويفرّقون على المساكين. وكذلك من له بقرٌ وغنمٌ وخلايا عسل وغير ذلك من جميع ما يُستغَلّ في أوّل السنة يعمل هذا العمل. ومن له مواشٍ يجب عليه في كل سنةٍ ان يقدّم لله من اوّل اولادها، واوّل البانها واوّل جزاز اصوافها. وكذلك ما يولَد من بني البشر، فان البكر يكون لله يجب على والديهِ ان يحملا ثمنهُ الى الكنيسة بحسبما يتراضيان مع الكهنة عليهِ. وكذلك كل بكر بهيمةٍ.

واما البقر والغنم والمعزى فتُحمَل ابكارها الى بيت الله، واما الحمار فيُعَوَّض عنه بخروفٍ. فاذا كانت هذه الاشياءُ كلها مفروضةً على الاسرائيليين مع كثرة عُتُوِّهِمْ وَغِلَظِ اعناقهم وكانوا يُوَبَّخون على اهمالها، فكيف لا يجب علينا ان نتيقَّظ من نومنا ونصحو من سكرتنا ونقوم بالحقوق الواجبة علينا.

وكيف لا يُقلقنا دائمًا قول ربنا: « انكم اذا لم يَزِد برُّكم على الكتبة والفريسيين لا تدخلون ملكوت السماوات. واذا كان شرط دخول

الملكوت الزيادة على اعمال اولئك، فماذا يُقال للناقصين عنهم. وينبغي ان نعلم انَّ الله انما فعل هكذا مع الناس ليجرِّب طائعِيه كما يفعل الاب مع البنين، فانّه يعطيهم المال والاثمار وغير ذلك، ثم يسألهم ان يعطوهُ شيئًا تجربةً لهم، فالذي يبادر اليهِ مُسرعًا ويعطيه ما بيدِه فَرِحًا مبتهجًا يُقبّلهُ ويسرُّ بهِ ويعوِّضهُ اضعافًا كثيرة. وإلَّا فهو القائل على لسان النبي:«أيَّ بيتٍ تبنون لي. السماءُ كرسيٌّ لي والأرض موطئ قدميَّ. ان جعت فلا اقول لك لأن لي الدنيا وكل ما فيها. لا آكل لحم الثيران ولا اشرب دم التيوس ولا اسكن في البيوت المصنوعة بالايدي». وانما سمَحَ الله تعالى ان يكون في الدنيا اناسٌ اغنياءٌ واناسٌ فقراءُ وأمرَ الاغنياءَ ان يُساعِدوا المساكين قاصدًا اصلاح الفريقين جميعًا، لان الاغنياءَ الذين يقومون بحوائج الفقراءِ ويُساعدون المساكين بفرحٍ ونشاطٍ طاعةً لربّهم يقبلهم في ملكوتهِ كما قال تعالى ويُسمعهم الصوت المملوءَ من كل فرحٍ ولذَّةٍ القائِلَ لهم : «تعالوا يا مُباركي أبي ورِثُوا المُلك المعدَّ لكم مِن قبل انشاءِ العالم. لأني جعتُ فاطعمتموني وعطشت فسقيتموني وكنت عُريانًا فكسوتموني» وما اشبه ذلك. واما الفقراء الصابرون على ضيق المسكنة الشاكرون لله من كل قلوبهم، فانّه يجازيهم بسعادة الابد، ويُعوِّضهم عن الاموال الزائلة بما لا يزول ويأخذون الطوبى المعدَّة للحزانى والجياع والعطاش والباكين وامثالهم». أفرأيتم مثل هذا الصنيع. أشاهدتم مثل هذه الكرامة. أسمعتم بمثل هذا الاحسان العظيم. ارأيتم كيف يطلب السيّد الرحمة من العبيد ليجازيهم عن الأعراض الزائلة بالجواهر التي لا تزول. أسمعتم قولهُ في العشور: «احملوها الى خزائني وجرِّبوني في هذه يقول الربّ لافتح لكم في السماءِ طاقاتٍ واصبَّ عليكم الارزاق صبًّا حتى تقولوا كفانا كفانا».

من يستطيع ان يصف عظمة هذه المواهب وايُّ لسانٍ ينطق بشكر هذه المِنَنِ وايُّ عقلٍ يُدرِك شرف هذه المراحم. أما كان الذي يعطيك عوضًا عن الواحد مئة ضعفٍ قادرًا الَّا يجعل اخاك محتاجًا اليك. ولكن لكثرة محبتهِ لنا وجودة حكمتهِ، يريد ان تكون انت سامعًا ومطيعًا ومُحسنًا ورحومًا، ويكون الآخر المحتاج محتمِلًا وصابرًا وشاكرًا، لانهُ يبتغي ان لا يترك شيئًا من انواع الفضيلة إلَّا ويحثّنا على اكتسابهِ ليُحسن مجازاتنا ويكثِّر خيراتنا ويوصلنا الى النعيم الأبديّ الذي لا يزول. واعلم يا هذا انهُ لكوننا لا نقوم بالحقوق الواجبة علينا، ولا نطيع اوامر ربّنا ، يتسلَّط علينا الذين يأخذون اموالنا مجّانًا. فانَّ الكتاب الإلهيَّ يقول: «إنَّ الاموال التي لم تأكلها الاطهار تُحمَل الى بابل». ومعناه انكم اذا كنتم تنظرون الحقوق الواجبة لله عليكم وتستكثرونها وتتغافلون عن القيام بها فيتسلّط عليكم الذين يظلمونكم ويسلبون اموالكم، ويتلفون زروعكم ويجعلونكم اذلَّاءَ مُهانِين.

فسبيلنا ان نبادر الى اقوال ربّنا ونقوم بالحقوق الواجبة علينا ونتحنَّن على المساكين ونتعطَّف على اخوتنا البائسين لننال المجازاة في الملكوت السماويّ بمحبّة وتعطُّف الهنا لهُ المجد الى الابد آمين.

آقوال آبائية

رفع القلب والعقل – الشيخ كليوبا إيليا الروماني

يمكن للناس أن يصلّوا بلا انقطاع شرط أن يقفوا دائما أمام الله في القلب والعقل. ويمكن أن يمارسوا عمل أيديهم، فيما قلوبهم وعقولهم مرفوعة إلى الله. علينا أن نفهم أن حياة الناس هي صلاة غير منقطعة عندما يتحوّل عقلهم نحو الله.

العين المضبوطة – القديس يوحنا كرونشتادت

القلب هو عين الوجود البشري. بقدر ما يكون صافيًا يزداد وضوحًا وسرعةً وبعد رؤيا.

في قديسي الله، وحتى في هذه الحياة، يضبطون عيونهم إلى أعلى درجة ولهذا يرون بوضوح القاصى والداني.

التوبة والتحول – القديس نيقولاوس فيليميروفيتش

التوبة من دون تحول كامل ليست أكثر من مهزلة أمام الله والروح. لا يليق اللعب مع الله. انه يظهر رحمة للذين تابوا، ولكن يؤدب بقسوة أولئك الذين لا يتوبون على الإطلاق، أو الذين يقومون بذلك جزئيا فقط وبتصنّع. وعندما يضرب الله، يكون الجرح عميقاً جداً ولا أحد يمكن أن يشفي منه إلا الله نفسه.

الهدف – القديس يوحنا كرونشتادت

إذا كنت لا تريد أن تُستَعبَد للأهواء والشيطان بشكل يومي، عليك أن تضع لنفسك هدفاً تضعه دائماً في الاعتبار، وعليك أن تحاول تحقيقه، والتغلب على كل العقبات بمعونة الربّ.

ما هو هذا الهدف؟ إنه ملكوت الله.

ثلاث فضائل للقديس ديمتريوس

سيرافيم ميتروبوليت كاستوريا (اليونان)

نقلتها إلى العربية صبا نعمة

يقول القديس غريغوريوس بالاماس في مديحه القديس العظيم في الشهداء ديمتريوس صانع العجائب والمُفِيضِ الطِّيبْ: «الأعجوبة العظيمة للمسكونة، الزينة العظيمة للكنيسة والأقدر من الجميع».

ليس فقط هذا القديس المعاين الله بل وكتّاب عديدون في السنكسار والمدائح يقدمون احترامًا وتوقيرًا للشهيد العظيم الحارس والمنقذ والمحارب عن مدينة تسالونيكي.

يَعتبِر نيكيفوروس غريغوراس (١٣٣٠م) موتَ الاسكندر الكبير خسارة، بينما استشهاد القديس ديمتريوس فيعتبره ربحًا للعالم إذ ساهم بجعله عالمًا أفضل.

ملأ قديسنا المسكونة شذًا وطيبًا «الصيف والشتاء وحتى الأبدية قد امتلأت من نعمته». أما مدينته المحبوبة تسالونيكي فقد أضحت ليس حصنًا روحيًا ضد الهجمات الشيطانية وجحافل البرابرة وحسب، بل أيضًا ملجأً من عواصف هذا العصر ... وحامية نفوسنا وأجسادنا».

في المناطق الشمالية من اليونان وفي مكدونيا حيث يشعر المرء بحضور قداسته، يخصصون بإجلال بعض الأزهار الخريفية المدعوّة في بلادنا الديمتريات (agiodimitriatika)، وبحسب كوكب الأرثوذكسية الساطع القديس غريغوريوس بالاماس نزين بها شخصه.

المفخرة الأولى «إيمان لا يتزعزع»:

الإيمان ليس تعليمًا نظريًا ولا تنظيمًا فلسفيًا يعنى بمفاهيم عليا. كما أنه ليس فكرًا يصدر من عقل الإنسان. الإيمان هو حياة ويعود إلى مصدر الحياة الذي هو المسيح، هو الاتحاد في المسيح وتجلّي المسيح في القلب.

تبرز الكنيسة هذه الخبرة المعاشة بعد المشاركة في سرّ الحياة أعني سرّ الشكر. فعندما نشارك في الأسرار الطاهرة، نردّد مع المرتّم التسبحة المؤثّرة «قد نظرنا النور الحقيقي وأخذنا الروح السماوي ووجدنا الإيمان الحق».

يشدّد القديس غريغوريوس بالاماس «أنّا نؤمن بالله وأنّا نثق به» ويتابع: «الإيمان مختلف عن الثقة». «أثق بالله» يعني أنّي على يقين أنّه صادق ولن يخلف بما وعدنا به. «أؤمن بالله» يعني أن أفكر فيه بشكل صحيح.. من هنا يكون الإيمان هبةً مقدسة وإعلانًا لله في القلوب النقيّة. هذا ما اختبره القديس ديمتريوس في حياته: «هذا ما أعطي له كهبة، هذا ما حفظه ككنزٍ لا يثمّن، حافظًا إياه مختومًا بدمه»

المفخرة الثانية «فيض النعمة الإلهية»:

يحتاج الإنسان إلى نعمة الله لكي يحفظ كنز الإيمان في وعاء ترابي وكما يقول الرسول بولس: «ويدوس الأفاعي والعقارب وكل قوة العدو».

يتساءل القديس يوحنا الذهبي الفم: «إن كان بوسع الخطيئة تحقيق الكثير، فالنعمة، نعمة الله، ليس نعمة الآب فقط بل والابن، أفلا تحقق الأكثر؟».

كل شيء ينتفع بنعمة الله. هي تغفر لنا وتبرّرنا دون أن تبطل حرّيتنا، بل وتعلمنا الثقة بمحبة الله للبشر. إنها السلاح الأقوى، بحسب عندليب الكنيسة الذهبي: «إنها الحصن الذي لا ينصدع، والعمود الذي لا يتزعزع ... كل شيء يتم بنعمة الله» (القديس يوحنا الذهبي الفم).

لو لم تكن لنا نعمة الله، لما كان لنا حضور الشهداء، اعترافاتهم وعجائبهم، زهد الأبرار ودموعهم، لما كان لنا حضور القديس ديمتريوس.

إن كلمات القديس نسطر تلميذه وحدها: «يا إله ديمتريوس ساعدني» وفيض الطيب وتدفق النعمة من جثمانه تُظهر سكنى النعمة في قلبه كما في رفاته المقدسة حتى يومنا هذا.

المفخرة الثالثة «غنى الفضائل الإلهية»:

بحسب التقليد الأرثوذكسي، ترتبط الفضائل الإلهية بشخص المسيح وهي ناتجة عن الحياة في المسيح (المتروبوليت إيروثيوس نافباكتوس). ليست هي قِيَمًا وأفكارًا مجرّدة بل هي المسيح نفسه. إن الذين يُحِبُّونَ يحرزون المحبة نفسها التي هي المسيح.

يشدّد القديس يوحنا الذهبي الفم بأن الفضيلة هي الطريق إلى الملكوت التي نعبرها بالأحزان والدموع، إنها صعبة، ولكن مبهجة. الفضيلة هي الحالة الطبيعية للروح، بينما الرذيلة هي عدوة طبيعتنا. كما هي حال الصحة بالنسبة إلى طبيعتنا كذلك الداء والمرض ليسا من طبيعتنا. الفضيلة تساعدنا للانتقال إلى الحياة الخالدة، «الفضيلة وحدها هي القادرة وتستطيع الانتقال معنا، وحدها تستطيع العبور إلى الحياة الخالدة» (القديس يوحنا الذهبي الفم). لكي ندخل بغلبة إلى الملكوت السماوي «لنسعى إلى اقتناء الفضائل في الوقت المتبقي لنا على الأرض».

تحلّى القديس ديمتريوس بكل الفضائل، فأضحى مبشرًا ومعلمًا متّقد الغيرة في عصر الإثم. إنه بطلٌ شجاعٌ مقدامٌ، أبٌ عطوف وقائدٌ لتسالونيكي. فليرفع يديه أمام عرش الحمل المذبوح طالبًا أن يمنحنا: إيمانًا لا يتزعزع وفيضَ النعمة الإلهية وَغِنَى الفضائل الإلهية. آمين.

صلاة الصغيرات

إعداد راهبات دير القدّيس يعقوب الفارسيّ المقطّع، ددە – الكورة

إنّهنّ أربع فتيات في عمر الورود، إذ لم تتجاوز أعمارهنّ الثانية عشرة، ومع هذا عرفن السجن والألم كمجرمات كبيرات يهدّدن أمن البلاد. ففي صباح أحد الأيّام، دخلت المدرّسة الصفّ وهي تزمجر متهدّدة: «من منكم يؤمن بالله؟». ولمّا لم تجد ردًّا على سؤالها هذا، غضبت جدًّا، وراحت تتوعّد التلاميذ بأنّهم إن لم يجيبوا على سؤالها فسوف تشكوهم إلى مديرة المدرسة لتأخذ في حقّهم العقوبات اللاّزمة.

– هيّا، أجيبوني، أيّها التلاميذ الجهلاء، من منكم يعبد الله؟

– أنا، أيّتها الآنسة.

– أنت، يا أديل؟ أنت؟ كيف تؤمنين بمن لا وجود له.

– نعم، أؤمن بأنّ الله موجود، وأؤمن بأنّ يسوع المسيح هو المخلّص الحقيقيّ.

وقبل أن تجيب المدرّسة وقفت إلى جانب أديل ثلاث فتيات تطفح وجوههنّ بالبراءة والوداعة، وقلن بصوت تملأه الثقة والإيمان الوطيد: «ونحن، أيضًا، نؤمن بالله، لا بل إنّنا نصلّي مساء كلّ يوم: أؤمن بإله واحد...». وهنا شرعت الفتيات الصغيرات يتلون دستور الإيمان: أؤمن بإله واحد آب ضابط الكلّ... وكانت المفاجأة غير المتوقّعة لهذه المعلّمة أن بدأ الصفّ بجملته يتلو أؤمن بإله واحد آب... فوضعت المدرّسة يديها على أذنيها، وهي تصرخ: «كفى، كفى، لا أريد أن أسمع هذا منكم أيّها البؤساء». ثمّ ما لبثت أن خرجت من الصفّ باتّجاه غرفة المديرة.

وبعد دقائق معدودة، أتت المديرة تصحبها المعلّمة وقد اصفرّ وجهها وشحب. فالتفتت المديرة وقالت بلطف شديد:

– يا أولادي، أنتم تعرفون بأنّ عقوبات فظيعة تنتظر من يعترف بإيمانه بالله، وأنتم أولاد صغار لا تستطيعون تحمّل العذابات. هذا بالإضافة إلى أنّه لا وجود حقيقيّ لهذا الإله الذي تؤمنون به، فحديث جدّاتكم وأمّهاتكم ما هو إلّا قصص أطفال، وأوهام كأيّ قصّة ترويها الأمّ لطفلها قبل أن ينام، أليس كذلك؟

– (لا جواب)

– والآن، يا أديل، أما زلت مصرّة على رأيك مع رفيقاتك؟

– أجابت الصغيرات بصوت واحد: نعم، نعم.

– ألا تخشين العذاب؟

– (بثبات): كلا، كلا.

– سوف أرسل أسماءكنّ إلى السلطات العليا، وسوف يرسلوكنّ إلى السجن.

– هذا لا يهمّنا.

حارت المديرة أمام ثبات هؤلاء الصغيرات، وخرجت من الصفّ وهي ترتجف، فهي لا تريد أن تسيء إلى هؤلاء الصغار، ولكنّها، في الوقت نفسه، لا تستطيع أن تبقى لا مبالية أمام إعلانهنّ، وإلاّ تنال أفظع العقوبات. وبعد أسبوع عرفت مديرة المدرسة بأنّ الفتيات الصغيرات نُفين وسُجنّ. وبعد أيّام قلائل، تسلّمت المديرةُ ظرفًا مُعَنونًا باسمها، ففضّته، وأخذت تقرأ:

حضرة المديرة المحترمة

إنّنا نكتب إليك من غرفة سجننا المظلمة والباردة جدًّا، ولكنّ النور الإلهيّ يضيئنا ومحبّة يسوع الصغير تدفئنا. إنّ رائحة الغرفة كريهة جدًّا بسبب القاذورات الكثيرة الموجودة فيها، ولكنّ هذا لا يهمّ، فنقاوة قلوبنا تعوّض لنا عن هذه الأوساخ. إنّنا نركع، مساء كلّ يوم، على الأرض الباردة أمام أسرّتنا المهترئة القديمة، ونرفع أيدينا إلى العلاء ونصلّي:

يا ربّ، بارك نومنا، فلقد أغمض النهار عينيه، وأغمض التعب عيوننا،

جفّت مشاعرنا، وفارقتنا قوّتنا.

نشكرك، يا ربّ، على جميع النِعم التي أعطيتنا إيّاها اليوم. نشكرك على الصحّة والقوّة، وعلى الرجاء الذي زرعته في قلوبنا. نشكرك على هذه المعاناة، والكراهية والإهمال، التي سمحت لنا أن نتذوّقها. إنّنا نحتاج إلى طبيب، وإلى من يعزّينا، إلى أب يحتضننا، لكنّنا نعلم، يا يسوع، أنّك الطبيب والمعزّي والأب العظيم الحنون. يا يسوع، ربّنا، لقد كنت، دائمًا، معنا. إنّنا نشتاق إليك، نشتاق أن نتّحد بك. فيا يسوع، تعال إلينا، شجّعنا على تحمّل العذاب، عزّينا لنتقوّى.

يا يسوع، من وسط عذاب اليأس، ومن شِفاهٍ جمّدها البردُ نصرخ إليك،

فاقبل صلواتنا وتضحيتنا، واقبل دموع أهالينا وامسحها لهم بمحبّتك.

اقبل حزننا ذبيحة محبّة لك. وامنحنا شجاعة الشهداء وقوّتهم.

يا يسوع، افتقد الذين هم بعيدًا عنك، الذين يضطهدونك. وبارك، معلّمتنا ومديرتنا اللتين لا تعرفانك، عرّفْهما ذاتك، لتحبّاك وتؤمنا بك. بارك، يا يسوع، من يحبّهم ويكرهوننا، وكلّ من يعاني من أجل الحقّ، فأنت الرجاء الذي لا ينطفئ، والمحبّة التي لا تعرف حدودًا، آمين.

تلميذاتُكِ اللواتي يَحِبْنكِ ويحترمْنَكِ ويصلّينَ لك في الربّ يسوع

أديل، ليوني، فالا، ليفوتا .

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

✝ الفصل التاسع ✝

ولم يتسنَ لنكتاريوس التعرّف إلى رئيسه الجديد للترحيب به والتحدث اليه: ففي ١٦ آب ١٨٩٣، أي بعد سنتين ونصف بالضبط من قدومه إلى إيبوس، وَصَلته رسالة جديدة تحمل توقعات وأختامًا كثيرة، تُعلمه بقرار نقله إلى منطقتي فتيوتيس وفوكيس. وقد كان بانتظار هذا الحدث: فقد عرف أنه لن يستطيع التجذر في هذه الأرض! وكان بعض الأصدقاء يحاولون أن يجدوا له مركزًا أفضل في أثينا، في مدرسة اللاهوت المدعوة «ريزاريو».

وفي الأيام الأخيرة الباقية له في الجزيرة، راح يزور الأحياء الفقيرة وعمّال المرفأ والفلاحين. والتقى المزارعين المنعزلين، والصيادين، والجنود السابقين، والكثير من المرضَى.

وكان يبدو على وجوه كل الناس حزن صامت كأنه قلقٌ، وكانوا يقولون له:

– هكذا ترحل يا أبانا، ونحن ...

– أنتم ستُصلُّون وتطلبون من الرب ...

– يؤلمنا أن نكون قد عرفناك، وكان الأفضل لو أننا لم نلتقِ بك.

وكان نكتاريوس يجهد في كبت تأثّره، فيقول بصعوبة:

–سأذهب باتجاه الشمال، نحو مدينة لميا؛ إلّا أن أفكاري وقلبي ستبقي بقربكم على الدوام.

ويوم رحيله، تجمّع حوله حشدٌ كبير من كل الأعمار. وكان الناس يدسّون في يديه الزهور والحبق، وكان يصرخ إليه البعض:

– لم نستطع أن نحتفظ بك !

– ماذا سيحلّ بنا الآن ؟

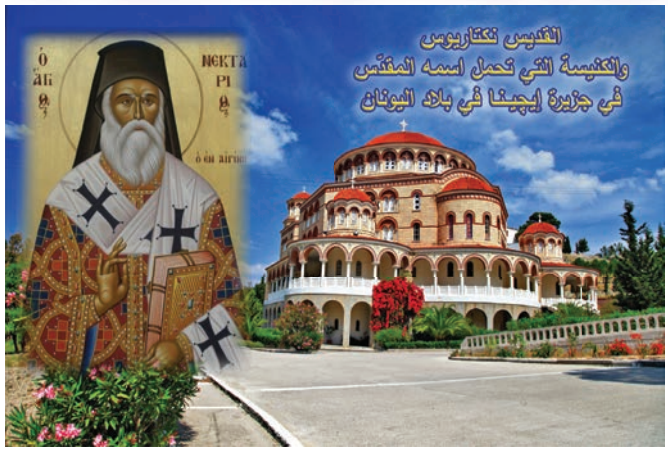

– لا تنسنا أبدًا، لا تنسنا ...

وكان نكتاريوس يجيب: «سأذهب باتجاه الشمال».

وفي وسط هذا الحشد ظهرت وجوه بعض المسنِّين التي حفرتها السنوات، وكانوا يحملون أوراق الريحان. وكان معظمهم يرتدون «الفوستنيلا» (**التنورة القصيرة والمجعّدة التي يلبسها الرجال في اليونان**) ويسيرون مجتمعين بِخُطَى بطيئة. وراح الجمع يتباعدون أمامهم ليفسحوا لهم الطريق حتى وصلوا إلى نكتاريوس. فأحاطوا به وهم يحنون رؤوسهم، ودون أن تصدر عنهم كلمة أو ابتسامة، سجدوا له الواحد بعد الآخر وقبّلوا يده.

وكان يمثلون شيئًا فائق الوصف، لمنهكين وعابرين لجة التاريخ والزمن. فقالوا له:

– سوف نلتقي هناك، في الوطن السماوي.

وبقيت عيونهم الغائرة مغشّاه ومن دون تعبير، عاجزة عن الإفصاح عن مدى التأثّر وحتى عن البكاء.

يَا طَالِبَ ٱلْعِلْمِ بَادِرِ ٱلْوَرَعَا
وَهَاجِرِ ٱلنَّوْمَ وَٱهْجُرِ ٱلشَّبَعَا
يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنْتُمُ عُشْبٌ
يَحْصُدُهُ ٱلْمَوْتُ كُلَّمَا طَلَعَا
لَا يَحْصُدُ ٱلْمَرْءُ عِنْدَ فَاقَتِهِ
إِلَّا ٱلَّذِي فِي حَيَاتِهِ زَرَعَا

مَا ٱلْخَيْرُ صَوْمٌ يَذُوبُ ٱلصَّائِمُونَ لَهُ
وَلَا صَلَاةٌ وَلَا صُوفٌ عَلَى ٱلْجَسَدِ
إِنَّمَا هُوَ تَرْكُ ٱلشَّرِّ مُطَّرَحًا
وَنَفْضُكَ ٱلصَّدْرَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدِ
مَا دَامَتِ ٱلْوَحْشُ وَالْأَنْعَامُ خَائِفَةً
فَرَسًا فَمَا صَحَّ أَمْرُ ٱلنُّسْكِ لِلْأَسَدِ

الأرثوذكسية (٧٧)

قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار   قاعدة الأيمان

وبكنيسة واحدة جامعة مُقدَّسة رسولية

بناء الكنيسة: (تتمة)

اختار الله في العهد القديم «شعبًا» و «أُمَّةً» لِتُتَمِّمَ ما يريد أن يعمله في تاريخ البشريَّة، ومع ذلك فهو لا يزال في احتياج إلى جماعة عمل، إلى قوّة تُكَمِّل ما هو منوط بها أن تعمله. هذه هي الكنيسة التي من واجبها أن تُعِدّ شعب الله من الإكليريكيِّين والعلمانيِّين معًا ليُنجِزوا عمله في العالم.

توجد قصَّة قديمة تُوْجِزُ هذه الحقيقة العُظمَى عن الكنيسة. تحكي أسطورة قديمة كيف أنَّ يسوع عاد إلى السماء بعد أن أكمَلَ عمله على الأرض، وكان في السماء لا يزال يحمل علامات الآلام الشديدة التي كابدها على الصليب.

سأل الملاك جبرائيل الربّ وقال له: «سيِّدي، لابدّ أنَّك قاسيت آلامًا مُروِّعة من أجل الإنسان على الأرض».

أجابه يسوع: «نعم».

سأله جبرائيل ثانية: «هل يعلم جميع البشر كَم أحببتهم وكَم عملتَ لأجل خلاصهم؟».

أجابه يسوع: «أوه! ليس بعد، إلى الآن قليلون جدًّا في فلسطين هم الذين يُدركون ذلك».

قال له جبرائيل: «وكيف يعرف العالم كله ما فعلتَه لهم؟».

أجابه يسوع: « طلبت من بطرس ويعقوب ويوحنا وقليلين آخرين أن يكون جلُّ عملهم في حياتهم أن يُخبروا الآخرين عَنِّي، وهؤلاء بدورهم يُبَلِّغون آخرين، وهكذا إلى أن يعرف كل واحد في العالم ما عملتُه».

أمَّا الملاك جبرائيل إذ كان يعرف قوام الضعف البشري، فإنَّه نظَرَ بِشَكٍّ شديدٍ وقال: « نعم ولكن ماذا يكون الحال إن كَلَّ بطرس ويوحنا وتعبا؟ وإن نسى الناس الآتون من بعدهم الرسالة؟ وإن لم يوجد في القرن الحادي والعشرين قومٌ يُخبرون آخرين عنك؟ ماذا تكون مخطَّطاتك الأُخرى لتعريف الناس بك؟»

أجاب يسوع: «لا توجد لديَّ أيَّة مُخطَّطات أُخرى. أنا معتمدٌ عليهم تمامًا».

أن نقول عن أنفسنا إنَّنا نحن المؤمنين جسد المسيح، فهذا يعني أنّ الله يَعتمد علينا، وعلينا فقط، أن نُكمِل عمله اليوم في العالم.

عليك أن تكون الكنيسة:

جَلِيٌّ إذن أنَّ الكنيسة هي شيءٌ أكثر من البناء. إنَّها شَعب، جماعة مؤمنين، شعبٌ سلَّم حياته لله، شعبٌ يسكن المسيح فيه ويعيش في وسطه، شعبٌ يصغي ويطيع صوت الله، أُناسٌ سلَّموا حياتهم بالحقيقة للمسيح كسَيِّدٍ عليهم، شعبٌ له علاقة شخصيَّة به وصلوات خاصَّة معه.

إنَّ أقدس لحظة للخدمة في الكنيسة هي تلك التي، بعد أن يتقوَّى الشعب فيها بالتعليم والأسرار، يمضي خارج أبواب الكنيسة إلى العالم ليصير هو الكنيسة. نحن لا نذهب فقط إلى الكنيسة، بل نحن نكون الكنيسة.

تحدَّث شاب مع راعي كنيسته بخصوص اهتداء شاب آخر يقيم معه في عنبر النوم في الجامعة، وكان هذا الشاب الأخير لا يؤمن بالله. سأل الطالبُ الراعي وقال له: «كيف يمكنني أن أجعَل هذا الشاب يَذهب إلى الكنيسة ليجِد هناك الراحة ويستمد منها المعونة والسلام؟».

أجابه الراعي: «لا تحاول أن تذهب به إلى الكنيسة، فمن المحتَمَل أن يَرفض، ولكن دَع الكنيسة تذهَب إليه! كُن أنتَ له كنيسة أينما تتقابَل معه: في حجرة غسيل الملابس، في قاعة المحاضرات، في عنبر النوم، في الملعب، في المخزن، في حجرة الطعام. أَنْتَ هو الكنيسة لصديقك الطالب هذا».

إنَّ الهدف من ذهابنا إلى الكنيسة كل يوم أحد هو أن ننصت إلى المسيح، وأن نمجِّده ونحمده، وأن نناله داخلنا في سِر التناول. كُل هذا حتى نخرج إلى العالم ونكون كنيسة للمسيح بقيَّة أيام الأسبوع.

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

العظة السادسة عشرة

«... وبالرّوح القدس، المعزّي، الناطق في الأنبياء»

١٣ – مختلف معاني كلمة «روح»:

وإذا جاءت كلمة «روح» عامة في الكتب الإلهية تحمل معاني كثيرة، فهناك خوف من أن يقع أحد في الالتباس عن جهل، لعدم إدراك أي روح هو المقصود؛ لذلك يحسن بنا أن نوضّح عن أي روح يقول الكتاب إنه «قدس». لأنه كما أنَّ هرون يُدعَى مسيحًا (أخبار ٥:٤) ، وكذلك داود (مز١٣١: ١٠) وشاوول (١ملوك ٢٤: ٧) وجميع الآخرين الذين دُعوا مُسَحاء، مع أنه لا يوجد إلَّا مسيح واحد حقّ، كذلك هي الحال مع تسمية «روح» التي تُطلَق على أشياء مختلفة. فمن المستحسن أن نرى أي روح هو الروح القُدس. لأن هناك كثيرين يُدعون روحا: فالملاك يدعى روحًا، ونفسنا تُدعى روحًا. والريح التي تهبّ تُدعَى روحًا، والقوة العظمى تُدعَى روحًا. فاحذر إذن لدى سماعك هذه الأشياء أن تقع في الالتباس لسبب مجانسة اللفظ؛ إلَّا أنها تختلف تمامًا في المعنى. فبخصوص نفسنا يقول الكتاب: «تخرج روحه فيعود إلى ترابه» (مز١٤٥: ٤). ويقول كذلك عن ذات النفس: «جُبِلَ روح الإنسان فيه» (زكريا ١٢: ١). وبخصوص الملائكة، يقول سفر المزامير: «الصانع ملائكته أرواحًا وخدّامه لهيب نار» (مز١٠٣: ٤) ، ويقول عن الريح: « ... بروح عاصف تكسر سُفن ترشيش» (مز٤٧: ٨) ؛ وأيضًا : «النار والبَرد، الثلج والضباب والرياح العاصفة» (مز ١٤٨: ٨). وما يخصّ التعليم الصحيح، يقول الرب نفسه: «الكلام الذي كلّمتكم به روح وحياة» (يو٦: ٦٣)، أي أنه كلام روحي. أما الروح القُدس فلا ينطق به اللسان، إنما هو روح حيّ يتكلّم ويفعل، ويمنحنا أن نتكلّم بحكمة.

١٥ – كيف يتّضح إستخدام كلمة روح:

والخطيئة أيضًا تُسمّى روحًا، كما قلنا، ولكن بشكل آخر وبمعنى مُضاد، كما قال: «روح الزنى أضلَّهم» (هوشع ٤: ١٢). ويُسمى روحًا، الرح النجس، الشيطان (لو١١: ٢٤)، إذ يلحق دائمًا بكلمة روح صفة تميّزه وتحدّد طبيعته. فإذا أريد الكلام عن نفس الإنسان، قيل: «روح الإنسان» (١كو٢: ١١)، وإذا أريد الكلام عن الريح، قيل: «ريحٌ عاصف» (مز١٠٦: ٢٥)، وإذا أريد الكلام عن الخطيئة ، قيل: «روح الزنى»، وإذا أريد الكلام عن الشيطان، قيل: «الروح النجس» ليعرف أي روح هو المقصود. ولا تظن أنه الروح القُدس، معاذ الله، لأن اسم «روح» مشترك، وكل ما ليس له جسم كثيف يُدعَى على وجه العموم روحًا. وبما أنه ليست للشياطين مثل هذه الأجسام، فهي تُدعَى أرواحًا. لكن الفارق عظيمٌ جدًّا، لأن الروح النجس، عندما يدخل نفس الإنسان، (ليحفظ اللهُ من هذا الشرّ السامعين والغائبين)، يأتي كالذئب المتعطِّش الى الدم وعلى استعداد للفتك بالنعجة. أن مجيئه لمَريع، والشعور به مؤلم للغاية، فيظلم العقل. هذا الهجوم ظالم، إذ انه يرمي الى اغتصاب مُلك الغير، إذ يستحوذ على جسمه وإمكانياته، فيصرع على الأرض من كان واقفًا، (لأنه خادم مَن هوى من السماوات) فينعقد لسانه ويقلب شفتيه، ويُربد بدلًا من أن يتكلَّم، فيقع الإنسان في الظلام، فلا تعود نفسه ترى شيئًا من خلال عينه المفتوحة. والإنسان اليائس يتمرّغ ويرتجف أمام الموت. أن الشياطين هم أعداء البشر حقًا، إذ يستغلّونهم بلا شفقة ولا رحمة.

١٦ – تأثير الروح في النفس:

إن الروح القُدس ليس كذلك. حاشا! بل بالعكس يعمل كل شيء للخير والخلاص. ان مجيئه لطيف، والشعور الذي يثيره عذب، ونيره خفيف. تسبق مجيئه أشعةٌ من النور والمعرفة. انه يأتي بأحشاء مؤيّدٍ حق، لأنه يأتي ليخلّص ويشفي، ليعلّم ويحذّر، ليقوّي ويعزّي، لينير العقل. انه ينير عقل من يتقبّله، وبواسطته عقول الآخرين. وكما ان الذي يكون في الظلام ويفتح عينيه فجأة على ضوء الشمس، يرى بوضوح ما لم يكن يراه من قَبل، كذلك الذي يسكن فيه الروح القُدس تستضيء نفسه، ويرى اشياء تفوق مرأى الانسان، ولم يكن يعرفها. إنَّ جسدَه على الأرض، ولكن نفسه تعكس السماوات كالمرآة، فترى كما رأى اشعيا: «الربّ جالسًا على عرشٍ عالٍ» (اشعيا ٦: ١). وكما رأى حزقيال: «الذي على رؤوس الكاروبيم» (حز١٠: ١)، وكما رأى دانيال «ربوات ربوات وألوف ألوف» (دانيال ٧: ١٠). والانسان، هذا الكائن المتناهي، الصغير، يرى بداية العالم ونهايته، والأوقات التي تتوسّطهما، ويعرف تعاقب الممالك. وهي كلّها أشياء لم يتعلّمها، لأن المنير الحقّ حاضرٌ فيه. تحيط الأسوار بالانسان، لكن عقله يذهب به الى بعيد، فيرى ما يحدث عند الآخرين.